فاروق حمدى

مُـحَـمَّـدٌ

رسول الرحمة والإنسانية

بحث

الطبعة الأولى – يناير 2022

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	محمد رسول الرحمة والإنسانية
المؤلف	فاروق حمدى
التصنيف	بحث
رقم الإيداع القانونى	2022 - 2535
الترقيم الدولى	978-977-999-080-4
رقم الإصدار الداخلى	الطبعة الأولى يناير 2022
عدد الصفحات	156صفحة
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات



إهداء

إلي روح شقيقتي رحاب حمدي أُهْدِي هذا الكتاب
"مُحَمّدٌ رَسُولُ الرّحمةِ والإنسانيةِ"

فاروق حمدى

بسم اللـه الرحمـن الرحيـم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه،الحمد لله الذي أخرجنا بهذا الدين القويم من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا سيد الخلق ، وحبيبنا حبيب الحق، الذي أخرجنا بسنته المطهرة من مستنقع الشهوات إلى جنات النعيم .لقد خلق اللهُ الإنسانَ في أحسن تقويم، وكرَّمَهُ أعظم تكريم، وسَخَّرَ له كل الكونِ أيّ تسخير، وقَدْ وهبه نعمة العقل والتعقُّلِ، والفكر والبصيرة، فيتعرف به على خالقه العظيم، ثم جعل له فطرة سليمة تُدلهُ على الثوابِ والخطأ من أفعاله ومما أكتسبت يداهُ، أودع فيه الشهوات ليرقى بها صَابِراً مُحْتَسِبًا ، شاكراً رب الأرض والسماوات، جعل له الشرع الحنيف ميزاناً دقيقاً، فأحَلَّ له الطيبات، وحَرَّمَ عليه الخبائث،ثم كانت منحته "عزوجل" للإنسان حرية الإرادة والاختيار مع علمه الأزلي بكل ماكان وما سيكون وماهو كائن ليثابُ باختياره ويعاقب عليها، فمن حفظ الله في نفسه وتحدثت بذلك جوارحه فقد عرف ربه فيسعد بلقائه في الدنيا والآخرة، وجُعِلَ خَلْق الإنسان من طين ونفخَ فيه من روحه ، فإذا سما عَقْلَهُ على شهواتِهِ كانت مرتبته تَسْمُوا الملائكة المقربين، وإن غَلُبَتْ شهواتِهِ عَقْلَهُ كان عياذا بالله في أسفل سافلين..

يقول عزوجل :" هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ " الزمر : آية 9

وقَدْ جعل "عزوجل" منحة العلم أعظم نعمة يقول وهو أصدق القائلين:" وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا " سورة النساء : آية " 113 "

قال الله تعالى (الزمر 53): {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم}.

وقال تعالى (الأعراف 156): {ورحمتي وسعت كل شيء}

412- وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللهِ ﷺ : (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية لمسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رَسُول اللهِ حرم الله عليه النار).

413- وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال النبي : (يقول الله عَزَّ وَجَلَ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة) رَوَاهُ مُسلِمٌ.

415- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ومعاذ رديفه على الرحل قال: (يا معاذ) قال: لبيك رَسُول اللَّهِ وسعديك. قال: (يا معاذ) قال: لبيك رَسُول اللَّهِ وسعديك. قال: (يا معاذ) قال: لبيك رَسُول اللَّهِ وسعديك، ثلاثاً. قال: (ما من عبد يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه اللَّه على النار) قال: يا رَسُول اللَّهِ أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا قال: (إذاً يَتَّكِلُوا) فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

قوله (تأثما): أي خوفاً من الإثم في كتم العلم.

وانطلاقاً من حديث رسول الله صل الله عليه وسلم

" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث (صدقة جارية، أوعلم ينتفع به، أوولد صالح يدعو له)

وقد اعتزمتُ بحول الله وقوته وفضله ومنِّه وتوفيقه إصدار كتابي عن سيد الخلق صلوات الله عليه وتسليماته تتمثل في _ رحمته وإنسانيته _ "صلـ الله عليه وسلم"، حيث تنوعت تلك الرحمة والإنسانية وتمثلت في كثير من الجوانب والممثلة في رحمته بالإنسان كل الإنسان، والحيوان من حيث تعاملاته الحياتية المعايشة وسيرته العاطرة، وقد بينت أيضاً في هذا الكتاب:

" الإحسان " والذي تمثل في خُلُقِهِ صل الله عليه وسلم وما يجب أن يكون عليه كل البشرية فتستقيم الحياة بلا إفراط أوتفريط ليحيا الإنسان والمجتمع في سعادة دائمة

وقد حرصت على أن يكون الكتاب محدد الموضوع للإستفادة، وليتعرف القاصي والداني علي إنسانيتة، وخُلُقِهِ صل الله عليه وسلم، كما حرصت أيضا أن يكون هذا الكتاب في أيد كل من أراد اقتنائه والإستفادة، فقد جمعتُ بحول الله ومشيئته كل ما أنعم به الله عليَّ من علم من خلال دراستي بالأزهر الشريف ـ كلية أصول الدين بالمنصورة ـ شعبة العقيدة والفلسفة، كما استعنتُ بصحيح البخاري ومسلم والذي يُعدا أصدق الكلام بعد كتاب الله عزوجل ، ورياض الصالحين، والتزود بكتب السيرة النبوية الشريفة، والمناهج الدراسية المقررة سائلاً المولي "عزوجل" الموفقية، وأن يجعلهُ هذا العمل خالصاً لوجهه سبحانه

والحمدلله ربّ العالمين

فاروق حمدي

بطاقة رسولنا الكريم ﷺ

محمدٌ رسولُ الله ﷺ

هُو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لقي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجوف مكة بالشعب وقيل بالدار التي عند الصفا، وكان مولده عام الفيل، العام الذي حاول فيه جيش أبرهة هدم الكعبة، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل أهلكتهم ومنعتهم.وشهد يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير من المعجزات، ليس في مكة وحسب ولكن في بلاد المشرق والمغرب فجاء ميلاد النبي إيذانًا بميلاد الإيمان في قلوب البشر.

رأت السيدة آمنة حين حملت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه خرج منها نور أضاء لها قصور بصري من أرض الشام، وقالت والله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء.

وتكررت الرؤى عند "آمنة" وسمعت كأن أحد يقول لها: "أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، ثم تسميه محمدًا".

وجاءتها آلام المخاض فكانت وحيدة ليس معها أحد ولكنها شعرت بنور يغمرها من كل جانب، وخُيِّلَ لها أن "مريم ابنة عمران"، "وآسية امرأة فرعون"، و"هاجر أم إسماعيل" كلهن بجانبها، فشعرت بالنور الذي انبثق منها، ومن ثم وضعت وليدها كما تضع كل أنثى من البشر.

وعندما ولدت السيدة آمنة رأت أم عثمان بن العاص وأم عبد الرحمن بن عوف اللتان باتتا عندها ليلة الولادة قلن: رأينا نوراً حين الولادة أضاء لنا ما بين المشرق والمغرب.

وذكرت "فاطمة بنت عبد الله" أنها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: "فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن عليَّ".

روى أنه صلى الله عليه وآله وسلم ولد معذورًا مسرورا أي مختونًا مقطوع السُّرة وأنه كان يشير بإصبع يده كالمسبِّحُ بها،وبعد أن وضعته السيدة آمنة أرسلت إلى جَده عبدالمطلب: أنه قد وُلِدَ لك غلام فأته فانظر إليه. فأتاه فنظر اليه وأخذه فدخل به الكعبة؛ فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها.

وأسْمَاهُ مُحَمّداً، وهذا الاسم لم يكن العرب يألفونه، فسألوه: لم رغب عن أسماء آبائه؟ فأجاب: أردتُ أن يُحَمّدَهُ الله في السماء، وأن يُحَمِّدَهُ الخلق في الأرض.
وروي أن عبدالمطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مأدبة. وروي أن جبريل عليه السلام ختنه حين شق صدره، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: "من كرامتي علي ربي أني ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتي"
فعن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك. قال : (دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام) . رواه ابن إسحاق بسنده (166/1 سيرة ابن هشام) ومن طريقه أخرجه الطبري في تفسيره (566/1) ، والحاكم في مستدركه (600/2) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وانظر السلسلة الصحيحة (1545) .
وروى الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ورأت أمي في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام) حسنه الألباني في صحيح الجامع (224) .
وروى أحمد (16700) عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله قال : (..... وذكر الحديث وفيه : إِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ) .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد : وإسناده حسن اهـ
وقال الحافظ ابن حجر في الفتح :
فَلَمَّا وَلَدَتْ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ الْبَيْت وَالدَّار . وَشَاهِده حَدِيث الْعِرْبَاض بْن سَارِيَة قَالَ : سَمِعْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول : (إِنِّي عَبْد اللَّه وَخَاتَم النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَم لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَته , وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ : إِنِّي دَعْوَة أَبِي إِبْرَاهِيم , وَبِشَارَة عِيسَى بِي , وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ , وَكَذَلِكَ أُمَّهَات النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ , وَإِنَّ أُمّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَتْ حِين وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهُ قُصُور الشَّام) أَخْرَجَهُ أَحْمَد وَصَحَّحَهُ اِبْن حِبَّانَ وَالْحَاكِم وَفِي حَدِيث أَبِي أُمَامَةُ عِنْد أَحْمَد نَحْوه اهـ
ومما يجب أن يعلم أن دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليست محصورة في هذه الآية ، فسواء ثبتت أم لم تثبت فإن نبوته صلى الله عليه وسلم ثابتة بالدلائل القطعية التي لا يستطيع مُنْصِفٌ نُكْرَانِهَا . وإنما أنكرها من أنكرها إما جهلاً أو مكابرة .

ولما كان الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتج إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وكان في هذا إشارة إلى أنه سيملك الفرس أربعة عشر ملكًا بعدد ما سقط من الشرفات، فملك منهم عشرة ملوك بعد كسرى في أربع سنين، وملك الباقون إلى إمارة عثمان رضي الله عنه حتى سقطوا جميعًا، وتهاوت الأصنام المنصوبة في الكعبة وحولها، وانكبّتْ على وُجوهِهَا، وغاضت بحيرة ساوة التي كانت تسير فيها السفن وجف ماؤها، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك ألف سنة.

ومن الآيات التي ظهرت لمولده صلى الله عليه وآله وسلم أن الشياطين رُميت وقذفت بالشهب من السماء، وحُجب عنها خبرُ السماء كما ذكر بعض العلماء، لكن المشهور والمحفوظ أن قَذف الشياطين بالشهب عند مبعثه صلى الله عليه وسلم، ومنها أن إبليس حُجب عن خبر السماء فصاح ورنَّ رَنَّةً عظيمةً كما رنَّ حين لُعن، وحين أخرج من الجنة، وحين وُلد النبي صلى الله عليه وسلم، وحين نزلت الفاتحة ذكر ذلك الحافظ العراقي في المورد الهني عن بقي بن مَخْلَد.

وقد يسأل سائل ما الحكمة من وقوع هذه المعجزات بالتزامن مع ميلاد الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم؟! ..

لعلَّ هذه المعجزات تهدف إلى شيئين:

الأول: أن تدعوا عبدة الأصنام والنار وغيرهم من التفكير فيما يعبدون من دون الله، ولماذا تهاوت الأصنام المنصوبة في الكعبة وحولها على وجهها، فيما بقي كل شئ من حولها واقفًا لم يصبه شئ، ولماذا انطفأت نار فارس التي يعبدونها والتي لم تنطفئ منذ مائة عام وتحرسها الكهنة ولم يغفلوا عنها؟!

كل هذا يدعوهم أن يتفكروا ويعلموا أن ما يعبدونه من دون الله هو باطل ويخضع لقوانين الكون.

أما الأمرالثاني: ماحدث خاصة في مكة يبرهن على أن هذا المولود صلى الله عليه وآله وسلم ليس مولودًا عاديًا، فهو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقت مواليدهم أمثال تلك الحوادث العجيبة، والوقائع الغريبة، كما يخبر بذلك القرآن الكريم فيما يحدثه عن حياة الأنبياء كما عرفت وتخبر بها تواريخ الشعوب والمِلل المسيحية واليهودية. كل هذا يعتبر بمثابة هَزَّةٍ في ضمائرِ أُولئك الذين كانوا غارقين في أوحال الوثنية

وعبادة النار والانحراف عن عبادة الله الواحد الأحد.

رضاعته ﷺ

رضع محمدٌ عليه الصلاة والسلام من حليمة السعدية بعد أن قدمت إلى قريش تلتمس أيٍ من الرضعاء، وكان لها ابناً رضيعاً لا تجد ما يسدّ جوعه، ذلك بعد أن رفضت نساء بن سعد إرضاع النبي -عليه السلام- بسبب فقده لوالده؛ ظنّاً منهنّ أن لا تعود عليهنّ رضاعته بالخير والأجر، وبسبب ذلك نالت حليمة السعدية بركةً في حياتها وخيراً عظيماً لم ترَ مثله قطّ، ونشأ محمّدٌ عليه السلام بخلاف غيره من الشباب من حيث القوة والشدة، وعادت به إلى أمّه بعد أن بلغ العامين من عمره واستأذنتها ببقاء محمدٍ عندها خوفاً عليه من الأمراض في مكة، وعاد معها بالفعل، وفي أحد الأيام أتاهُ رجلان ذوي ثيابٍ بيضاء شقّا بطنه واستخرجا علقةً سوداء منه، فكانت حادثة شق الصدر، وكان ذلك الأمر الفاصل في عودته إلى أمه .

كفالته ﷺتوفيت والدة النبي -عليه السلام- آمنة بنت وهب وهو ابن ست سنواتٍ، وكانت عائدةً به من منطقة الأبواء؛ وهي منطقةٌ واقعةٌ بين مكة والمدينة، إذ كانت في زيارةٍ لأخواله من بني عدي من بني النجار، فانتقل بعدها للعيش في كفالة جدّه عبد المطلب حيث كان يعتني به اعتناءً شديداً؛ ظانّاً فيه الخير والشأن العظيم، ثمّ توفي جدّه والنبي في الثامنة من عمره، وانتقل بعدها للعيش في كفالة عمه أبي طالب، وكان يأخذه معه في رحلاته التجارية، وفي إحدى الرحلات أخبره إحدى الرهبان بأنَّ مُحَمّدَاً سيكون ذو شأن عظيم .

رعيه ﷺ للأغنام:

عمل الرسول -عليه الصلاة والسلام- في رعي أغنام أهل مكة، وفي ذلك يقول -عليه الصلاة والسلام-: (ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إلَّا رَعَى الغَنَمَ، فقالَ أصْحابُهُ: وأَنْتَ؟ فقالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أرْعاها علَى قَرارِيطَ -جزء من الدينار والدرهم- لأهْلِ مَكَّةَ) وبذلك كان النبي -عليه السلام- قدوةً في كسب الرزق.

تجارته ﷺ:

كانت خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- ذات مالٍ كثيرٍ ونسبٍ رفيعٍ، وكانت تعمل في التجارة، وحين بلغها أن مُحَمّدَاً رجلٌ صادقٌ في أقواله، أمينٌ في عمله، كريمٌ في أخلاقه استأمنته على الخروج تاجراً بأموالها مع غلامٍ لها يُدعى ميسرة مقابل الأجر، فخرج -عليه الصلاة والسلام- تاجراً إلى بلاد الشام، وجلس في الطريق تحت ظلّ شجرةٍ قريبةٍ من راهبٍ، فأخبر الراهب ميسرة أنّ مَن نزل تحت تلك الشجرة لم يكن إلّا نبياً، وأخبر ميسرة خديجة بقول الراهب، ممّا كان سبباً في طلبها الزواج من الرسول، فخطبها له عمّه حمزة، وتزوّجا.

مشاركته ﷺ في بناء الكعبة:

عقدت قريش العزم على تجديد بناء الكعبة؛ لحمايتها من الهدم بسبب السيول، واشترطوا بناءها من الأموال الطيبة التي لم يدخلها أي نوع من الربا أو الظلم، وتجرّأ الوليد بن المغيرة على الهدم، ثم شرعوا بالبناء شيئاً فشيئاً إلى أن وصلوا إلى موضع الحجر الأسود، إذ وقع الخلاف بينهم في مَن سيضعه في موضعه، وتراضوا على قبول حكم أول من يدخل عليهم، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام فأشار عليهم بأن يضع الحجر الأسود على ثوبٍ تحمله كل قبيلةٍ من طرفٍ ليضعه في مكانه، وقبلوا بحكمه دون خلافٍ، وبذلك كان رأي الرسول عليه الصلاة والسلام عاملاً في عدم تنازع قبائل قريش وعدم خلافها فيما بينها.

في ظلال النبوة:

بداية الوحي كان رسول الله صلـ الله عليه وسلم يخلو بنفسه في غار حراء في شهر رمضان تاركاً كلّ من حوله؛ مبتعداً عن كلّ باطلٍ، محاولاً التقرّب من كلّ صوابٍ قدر ما استطاع، متفكّراً في خلق الله وإبداعه في الكون، وكانت رؤياه واضحةً لا لبس فيها، وبينما هو في الغار جاءه ملكٌ قائلاً: إقرأ فردّ الرسول قائلاً: ما أنا بقارئ، وتكررّ الطلب ثلاث مرّاتٍ، وقال الملك في المرة الأخيرة: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، فعاد إلى خديجة وهو في حالة فزع شديدٍ ممّا حصل معه، فطمأنته،

وفي ذلك روت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: (أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكانَ يَأْتي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وهو التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حتى جاءه الوحي وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَقالَ: اقْرَأْ، فَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ} حتَّى بَلَغَ - {عَلَّمَ الإنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ} ثمّ أخذت به خديجة -رضي الله عنها- إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل، وكان شيخاً كبيراً لا يُبصر يكتب الإنجيل بالعبرية، وأخبره الرسول بما حصل، فقال ورقة: (هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فَقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا)، ثمّ توفي ورقة، وانقطع الوحي عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- فترةً من الزمن، وقيل إنّها استمرت لأيامٍ فقط، فكانت الغاية من ذلك هو طمأنة الرسول وتشويقه للوحي مرةً أخرى، إلّا أنّ النبي -عليه السلام- لم ينقطع عن الخلوة بنفسه في غار حراء، بل استمرّ على ذلك، وفي إحدى الأيام سمع صوتاً من السماء وكان جبريل -عليه السلام- ، ونزل بقول الله -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)، وبذلك أمر الله -تعالى- نبيّه بالدعوة إلى توحيده وعبادته وحده.

العهد المكيّ والدعوة السرية:

لم تستقر أحوال الدعوة في مكة بسبب انتشار عبادة الأصنام والإشراك بالله، لذلك كان من الصعب الدعوة إلى توحيد الله فيها بشكلٍ مباشرٍ في بداية الأمر، فما كان من رسول الله إلّا الإسرار بالدعوة، وبدأ بدعوة أهل بيته ومن رأى فيه الصدق والرغبة بمعرفة الحقّ، فكانت زوجته خديجة ومولاه زيد بن حارثة وعلي بن أبي طالبٍ وأبو بكر الصديق أوّل من آمن بدعوته، ثمّ ساند أبو بكر الرسول في دعوته فأسلم على يديه:عثمان بن عفان، والزبير بن العوّام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، ثمّ انتشر الإسلام في مكة شيئاً فشيئاً إلى أن جهر بالدعوة بعد ثلاث سنواتٍ من الإسرار بها.

وتُعَدُّ المرحلة السرّية من أهمّ مراحل الدعوة، وقد امتازت هذه المرحلة بأساليب عدّة، حيث حرص النبي عليه السلام على مراعاتها، وبيانها بشكلٍ مُفصَّلٍ فيما يأتي:

*مبدأ التدرُّج:

فقد وعى رسول الله ما يجب أن تكون عليه الدعوة من التأنّي، وعدم الاستعجال في الوصول إلى المطلوب، وهي قاعدةٌ ينبغي على الدُعاة جميعهم اتّباعها في دعوتهم؛ حيث يبدأ التدرُّج بأن تكون الدعوة سرّيةً، ثمّ يتمّ الإعلان عنها فيما بعد، أمّا فيما يتعلّق بطول مدّة سرّيتها؛ فيختلف بحسب الظروف الواقعة فيها، ومع أنّ الرسول كانت دعوته في بدايتها سرّيةً، إلا أنّ هذا المبدأ غير مشروطٍ في كلّ دعوةٍ، وإنّما يُقرَّر وجوده بحسب الواقع؛ من حيث الزمان، والمكان، كما سار المسلمون في مكّة على نهج اعتبار الدعوة مبدأ ثابتاً ينبغي السير عليه، ومع ارتباط فكرة سرّية الدعوة بالتدرُّج فيها، إلّا أنّ التخلّي عن مبدأ السرّية لا يعني ترك التدرُّج في الدعوة؛ فالتدرُّج قاعدةٌ من قواعد الشريعة الإسلاميّة بمجالاتها جميعها، ومن أمثلة ذلك ما أوصى به رسولُ الله معاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن، حيث قال له: (إنَّكَ تَأْتي قَوْمًا مِن أهْلِ الكِتابِ، فادْعُهُمْ إلى شَهادَةِ أنَّ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأَنِّي رَسولُ اللهِ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لذلكَ، فأعْلِمْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لذلكَ، فأعْلِمْهُمْ أنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِن أغْنِيائِهِمْ فَتُرَدُّ في فُقَرائِهِمْ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لذلكَ، فإيَّاكَ وكَرائِمَ أمْوالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فإنَّه ليسَ بيْنَها وبيْنَ اللهِ حِجابٌ).

*أخذ الحِيطة والحذر:

وهذا المبدأ يشمل الدعوة بتفاصيلها ومراحلها جميعها، وليس المرحلة السرّية منها فقط، وإنّما كان التأسيس لهذا المبدأ في المرحلة السرّية، كما علّم رسول الله صلّـ الله عليه وسلّم أصحابه السير على مبدأ الحِيطة والحذر في مجالات الحياة كلّها، أمّا في المجال الدعويّ فيظهر ذلك جليّاً باختيار رسول الله لدار الأرقم بن أبي الأرقم عمّا سواها، وقد اختارها رسول الله؛ لأنّ الأرقم لم يتجاوز عمره حينذاك السابعة عشر، فلا يُمكن أن يخطر على بال أحدٍ من قريش أن يكون الرسول في مثل ذلك البيت، وإنّما الأصل أن يختار رسول الله بيتاً من بيوت كبار الصحابة الذين لا تجرؤ قريش عليهم، كما أنّ دار الأرقم كانت بعيدةً عن مراكز تجمُّعات قريش، بالإضافة إلى وقوعها على جبل الصفا، ممّا يُسهّل عملية مراقبة الطرق المُؤدّية إليها، ثمّ إنّ الأرقم كان من قبيلة بني مخزوم ورسول الله من قبيلة قريش؛ وكانت بين القبيلتَين الكثير من النزاعات، فلا يُمكن أن يخطر على بال أحدٍ أن يتّجه رسول الله إلى بيت أحدٍ من تلك القبيلة، وقد أكدّت الروايات جميعها أنّ ذلك البيت لم يتعرّض لأيّ خطرٍ طيلة لقاء رسول الله بأصحابه فيه.

*الإحتواء:

ويقصد بها التّحلي بالحكمة وتقدير المواقف بما تستحق، ويظهر ذلك من خلال التعامل مع الأحداث والمراحل والأشخاص، خاصة أنّ الدعوة الإسلامية قامت بين قوم يقدّسون عبادة الأصنام، وكان زعماء العرب كلهم يدينون للأوثان؛ فلم يكن من السّهل إقناعهم بتغيير عقيدتهم، والتي تعني تخلّيهم عن زعامة ورياسة قومهم؛ فكانت سياسة الاحتواء خير سبيل للتعامل معهم لتهيئة الطريق أمام إعلان الدعوة والجهر بها.

* التنوُّع والاختلاف وعالَميّة الدعوة:

فقد وصل رسول الله في دعوته إلى أطياف المجتمع جميعها من فقير، وغنيّ، وصغير، وكبير، وغيرهم، ولم يترك قبيلةً من القبائل إلّا وصل إليها، ودعاها، وانتشر الإسلام بشكلٍ مُتساوٍ بين القبائل كلّها، ولم تبقَ هناك قبيلة إلّا ودخل فيها الإسلام، ممّا هيّأ بيئةً خصبةً لانتشار الإسلام، وعدم اقتصاره على فئةٍ أو قبيلةٍ مُعيَّنةٍ.وذلك من فِقه الحفاظ على النفس على وجه العموم، فإدراك النبيّ لذلك دفعه لأن تكون الدعوة في بدايتها سرّيةً، مع الابتعاد عن القتال، وذلك لأسباب عديدةٍ، منها: التربية على الصبر، والمحافظة على الهدف الأساسيّ للدعوة، وعدم الانشغال بالثأر الذي يُؤدّي إلى انتشار الحقد والكراهية بين الناس،

إلى غير ذلك من الأسباب، فترتّب على ذلك أن كان الحفاظ على النفس ضرورةً من ضرورات الإسلام الخمس. فِقه الإعداد والبناء، وعليه فقد مَنع رسول الله القتالَ ليتفرّغ لإعداد المسلمين إعداداً عَقَدِيّاً سليماً يساعده على المُضِيّ قُدُماً في الدعوة. فِقه الأخذ بالأسباب جعل الرسول الدعوة سرّيةً، واختار مكاناً للقاء الصحابة، وبذلك تمكّنت الدعوة، وثبتت فيما بعد، واستمرّ على ذلك النَّهج في جميع المراحل التي مرّت بها الدعوة.

فِقه التخطيط والتنظيم:

وهو مبدأ سار عليه رسول الله في مراحل الدعوة جميعها، وفي كلّ ما كان يقوم به فقد بدأ بدعوة المُقرّبين فالأقربين.
فِقه الاستشارة:وذلك من صفات القائد الحكيم الرشيد أنّه لا يفرض رأيه، وإنّما يستشير مَن حوله من أهل الخبرة والمعرفة بما يُحقّق الغاية والهدف،
وقد عمل النبيّ بذلك في جميع مراحل الدعوة، ومواقفها.

الدعوة الجهرية

بدأ رسول الله صلـ الله عليه وسلم بدعوة عشيرته جهراً، قال تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، فصعد الرسول على جبل الصفا ودعا قبائل قريش إلى توحيد الله فاستهزؤا به، إلّا أنّ الرسول لم يتوانَ في الدعوة، وأخذ أبو طالب على نفسه حماية الرسول، ولم يلتفت إلى أقوال قريش بصدِّ الرسول عن دعوته.

المقاطعة:

إتّفقت قبائل قريش على مقاطعة الرسول ومن آمن به ومحاصرتهم في شِعب بني هاشم، وكانت تلك المقاطعة بعدم التعامل معهم في البيع أو الشراء، إضافةً إلى عدم تزويجهم أو الزواج منهم، وقد وُثّقت تلك البنود على لوحةٍ وعُلّقت على جدار الكعبة، واستمرّ الحصار مدة ثلاث سنواتٍ، وانتهى بعد أن تشاور هشام بن عمرو مع زهير بن أبي أميّة وغيره في إنهاء الحصار، وهمّوا بشقّ وثيقة المقاطعة ليجدوا بأنّها قد اندثرت إلّا "باسمك اللهم" منها، وبذلك فُكّ الحصار. عام الحزن توفيّت السيدة خديجة التي كانت بمثابة السند لرسول الله قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنواتٍ، وفي ذات العام مرض أبو طالب الذي كان يحمي الرسول من أذى قريش مرضاً شديداً، واستغلّت قريش موقف مرضه وبدأت بالتعرّض للرسول بالأذى الشديد، وذهبت مجموعة من أشراف قريش إلى أبي طالب حين اشتدّ مرضه وطلبت منه أن يكفّ الرسول عن دعوته، فحدّثه أبو طالب بما يريدون، ولم يلتفت لذلك، وقبل وفاة أبي طالب حاول معه الرسول بنطق الشهادتين إلّا أنّه لم يستجب، وتوفي على حاله، وبوفاته ووفاة خديجة رضي الله عنها حزن الرسول حزناً شديداً؛ إذ كانا بمثابة السند والدعم والحماية له، وسمّي ذلك العام (عام الحزن) .

الدعوة خارج مكة:

توجّه رسول الله صلـ الله عليه وسلم إلى الطائف في سبيل دعوة قبيلة ثقيف إلى توحيد الله بعد وفاة عمّه وزوجته، وتعرّض للأذى من قريش، طالباً من ثقيف نصرته وحمايته، والإيمان بما جاء، راجياً منهم القبول، إلّا أنهّم لم يستجيبوا وقابلوه بالسخرية والاستهزاء.

الهجرة إلى الحبشة:

حثَّ رسول الله أصحابه على الهجرة إلى أرض الحبشة نظراً لما تعرّضوا له من التعذيب والأذى، مخبراً إيّاهم بأنّ فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحدٌ، فخرجوا مهاجرين، وكانت تلك أوّل هجرةٍ في الإسلام، وقد بلغ عددهم ثلاثاً وثمانين رجلاً، وحين علمت قريش بأمر الهجرة أرسلوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بالهدايا والعطايا إلى النجاشي ملك الحبشة وطلبوا منه ردّ المسلمين المهاجرين احتجاجاً بأنّهم فارقوا دينهم الذي كانوا عليه، إلّا أنَّ النجاشيّ لم يستجب لهم وطلب من المسلمين بيان موقفهم، فتكلّم عنهم جعفر بن أبي طالب، وحدّث النجاشي بأنّ الرسول أرشدهم إلى طريق الصلاح والحق بعيداً عن طريق الفواحش والرذائل فآمنوا به، وتعرّضوا للأذى والسوء بسبب ذلك، وقرأ عليه جعفر بداية سورة مريم فبكا النجاشي بكاءً شديداً، وأخبرَ النجاشيّ رُسل قريش بأنّه أبداً لن يُسلِّمَ أحداً منهم، وردّ عليهم هداياهم، إلّا أنّهما عادا إلى النجاشي في اليوم التالي يخبرانه بأنّ المسلمين يتأوّلون القول على عيسى بن مريم، وسمع من المسلمين رأيهم بعيسى فأخبروه بأنّه عبد الله ورسوله،وروح منه ألقاه الله في مريم، وأنها العفيفة وبذلك صدّق النجاشي المسلمين ورد عبدالله وعمرو.

بيعة العقبة الأولى والثانية:

أتى وفدٌ من الأنصار يبلغ عددهم اثني عشر رجلاً إلى الرسول ليبايعوه على توحيد الله -سبحانه- وعدم السرقة وعدم الوقوع في الزنا أو المعاصي أو القول الزور، وتمّت تلك البيعة في مكانٍ يسمّى العقبة، ولذلك سمّيت ببيعة العقبة الأولى، وأرسل معهم الرسول مصعب بن عمير يعلّمهم القرآن ويبيّن لهم أمور الدين، وفي العام التالي في موسم الحج قدم إلى رسول الله ثلاث وسبعون رجلاً وامرأتين؛ ليبايعوه، وتمّت بذلك بيعة العقبة الثانية.

العهد المدني:

الهجرة النبوية هاجر المسلمون إلى المدينة المنورة حفاظاً على دينهم وأنفسهم، ولإقامة وطنٍ آمنٍ يعيشون فيه وفق أصول الدعوة، وكان أبو سلمة وعائلته أول من هاجر، وتبعه صهيب بعد أن تنازل عن كلّ ما يملك من مالٍ لقريش في سبيل توحيد الله والهجرة في سبيله، وهكذا تبع المسلمون بعضهم البعض في الهجرة حتى كادت مكّة أن تصبح خاليةً من المسلمين، ممّا أدّى بقريش إلى الخوف على نفسها من عواقب هجرة المسلمين، فاجتمع نفرٌ منها في دار الندوة بحثاً عن طريقةٍ للتخلّص بها من رسول الله صلـ الله عليه وسلم، وانتهى بهم الأمر إلى أن يأخذوا من كل قبيلةٍ شاباً ويضربون الرسول ضربة رجلٍ واحدٍ، ليتفرّق دمه بين القبائل ولا يستطيع بنو هاشم على الثأر منهم.

وفي ذات الليلة أذِن الله لرسوله بالهجرة فاتّخذ أبا بكرٍ رفيقاً له، وجعل عليّاً في فراشه وأوصاه بردِّ الأمانات التي كانت عنده إلى أصحابها، واستأجر الرسول عبد الله بن أريقط ليدلّه على الطريق إلى المدينة، فخرج الرسول مع أبي بكرٍ قاصدَين غار ثور، وحين علمت قريش بفشل خطّتها وهجرة الرسول بدأوا بالبحث عنه، إلى أن وصل أحدهم إلى الغار فأصاب أبو بكر الخوف الشديد على الرسول، إلّا أنّ الرسول طمأنه، وبقيا في الغار ثلاثة أيامٍ إلى أن استقرّت الأحوال وتوقّف البحث عنهما، ثمّ استأنفا مسيرهما إلى المدينة ووصلا إليها في السنة الثالثة عشر من البعثة، في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وأقام أربعة عشر ليلة في بني عمرو بن عوف، أسَّسَ خلالها مسجد قباء أول مسجدٍ بُني في الإسلام، وبدأ بعدها بإقامة أسس الدولة الإسلامية.

بناء المسجد:

أمر رسول الله ببناء المسجد على أرضٍ اشتراها من غلامين يتيمين، وبدأ الرسول مع أصحابه بالبناء، وجُعلت قبلته إلى بيت المقدس، وكانت للمسجد أهميةٌ عظيمةٌ؛ إذ كان مكان لقاء المسلمين للصلاة وغيرها من الأمور، بالإضافة إلى تعلّم العلوم الشرعية، وتعميق الصلات والعلاقات بين المسلمين.

المؤاخاة:

آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار من المسلمين وفق أسس العدل والمساواة، فالدولة لا يُمكن أن تُقام إلّا بتوحّد أفرادها، وإقامة العلاقة بينهم على أساس حبّ الله ورسوله وبذل النفس والمال في سبيل الدعوة وبذلك جعل رسول الله مؤاخاتهم مرتبطةً بعقيدتهم، ومنحت المؤاخاة للأفراد تحمّل مسؤولية بعضهم البعض.

وثيقة المدينة:

كانت المدينة المنورة بحاجةٍ إلى أمرٍ ينظمّها ويضمن حقوق أفرادها، فكتب الرسول وثيقةً كانت بمثابة دستورٍ بين المهاجرين والأنصار واليهود، وكانت لتلك الوثيقة أهميّةٌ عظيمةٌ؛ إذ كانت بمثابة الدستور الذي ينظّم أمور الدولة في الداخل والخارج، وأقام الرسول البنود بحسب أحكام الشريعة الإسلامية، كما كانت عادلةً من حيث المعاملة مع اليهود، وقد دلّت بنودها على أربعةٍ من الأحكام الخاصة بالشريعة الإسلامية، وهي:

1- إنّ دين الإسلام هو الذي يعمل على وحدة المسلمين وتماسكهم.
2- إنّ المجتمع الإسلامي لا يقوم إلّا بتكافل وتضامن جميع الأفراد، وتحمّل كلٍّ منهم المسؤولية الخاصة به.
3- إنّ العدالة ظاهرةٌ بشكلٍ مفصّلٍ ودقيقٍ.
4- إنّ مردّ المسلمين دائماً إلى حكم الله -تعالى- المُبَيّن في شريعته.

الغزوات والسرايا:

خاض النبي -عليه الصلاة والسلام- عدداً من الغزوات والمعارك بهدف إقامة الحق ودعوة الناس إلى توحيد الله "عزّوجل" بإزالة العوائق التي تُحيل دون نشر الدعوة، وتجدر الإشارة إلى أنّ الغزوات التي خاضها الرسول كانت نموذجاً عملياً في بيان صورة المُحارب الفاضل واحترام الإنسانية، ذلك بعد أن بدأت العلاقات تشتدّ بين رسول الله في المدينة والقبائل من خارجها، ممّا أدّى إلى وقوع عددٍ من المواجهات القتالية بين الأطراف المختلفة، وسمّي القتال الذي شهده الرسول بالغزوة والذي لم يشهده بالسرية.

الغزوات التي خاضهَا رسول الله صلـ الله عليه وسلم مع المسلمين:

غزوة بدر الكبرى:

وقعت في السنة الثانية من الهجرة، في السابع عشر من شهر رمضان، وسببها اعتراض المسلمين لقافلة قريش المتّجهة إلى مكة بقيادة أبي سفيان، فهبّت قريش لحماية قافلتها وحصل القتال بين المسلمين، وبلغ عدد المشركين ألف مقاتلٍ، فيما كان عدد المسلمين ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر رجلاً فقط، وانتهت بانتصار المسلمين وقتل سبعين من المشركين وأسر سبعين آخرين وتم عتقهم بالمال.

غزوة أحد:

وقعت في السنة الثالثة من الهجرة، يوم السبت الموافق الخامس عشر من شوال، وسببها رغبة قريش في الثأر من المسلمين لما أصابها يوم بدر، حيث بلغ عدد المشركين ثلاثة آلاف مقاتل، فيما كان عدد المسلمين نحو سبعمئة رجل جُعل منهم خمسين على ظهر الجبل، وعندما ظنّ المسلمون أنّهم انتصروا بدأوا بجمع الغنائم، فانتهز خالد بن الوليد وكان حينها على الشرك الفرصة، والتفَّ على المسلمين من وراء الجبل وقاتلهم، ممّا أدّى إلى انتصار المشركين على المسلمين.

غزوة بني النّضير:

بنو النضير قومٌ من أقوام اليهود نقضوا العهد مع رسول الله، فأمر الرسول بإبعادهم عن المدينة، وأخبرهم قائد المنافقين عبد الله بن أبيّ بالبقاء في أماكنهم مقابل دعمهم بالمقاتلين، وانتهت الغزوة بإجلاء القوم من المدينة ومغادرتهم لها.

غزوة الأحزاب:

وقعت في السنة الخامسة من الهجرة، وكان سببها توجّه رؤساء بني النضير إلى قريش لتحريضهم على قتال رسول الله، وقد أشار سلمان الفارسي على الرسول بحفر خندق لذلك تسمّى هذه الغزوة أيضاً بغزوة الخندق، وانتهت بانتصار المسلمين.

غزوة بني قريظة:

وهي الغزوة التالية لغزوة الأحزاب، وقد وقعت في السنة الخامسة للهجرة، وسببها نقض يهود بني قريظة العهد مع رسول الله، وتشكيلهم للأحزاب مع قريش، ورغبتهم في الغدر من المسلمين، فخرج رسول الله إليهم مع ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين، وحاصروهم خمسة وعشرين ليلة، فضاق عليهم الحال، وخضعوا لأمر رسول الله.

غزوة الحديبية:

وقعت في السنة السادسة للهجرة من شهر ذي القعدة، ذلك بعد أن رأى رسول الله في منامه أنّه ذاهبٌ ومن معه إلى البيت الحرام وهم آمنين محلّقين رؤوسهم، فأمر المسلمين بالتّجهز لأداء العمرة، وأحرموا من ذي الحليفة، ولم يأخذوا معهم إلّامامن شأنه يوحي بالقتال لتعلم قريش أنّهم لا يبتغون حربا، ووصلوا إلى الحديبية إلّا أن قريشاً منعتهم من الدخول، فأرسل إليهم الرسول عثمان بن عفان يخبرهم بحقيقة مجيئهم، وأُشيع أنّه قتل، فرأى رسول الله بأن يعدّ العدّة ويقاتلهم، فأرسلوا سهيل بن عمرو للاتفاق معهم على الصلح، وتمَّ الصلح بمنع الحرب مدة عشرة سنواتٍ، وأن يردّ المسلمون من يأتيهم من قريش وألّا تردّ قريش من يأتيها من المسلمين، وتحلّل المسلمون من إحرامهم، وعادوا إلى مكّة.

غزوة خيبر:

وقعت في السنة السابعة للهجرة في آخر شهر محرَّم، ذلك بعد أن رأى رسول الله التخلّص من تجمّعات اليهود حيث إنّها تشكّل خطراً على المسلمين، وخرج الرسول بالفعل لتحقيق مقصده وانتهى الأمر لصالح المسلمين.

غزوة مؤتة:

وقعت في السنة الثامنة للهجرة في جمادى الأولى، ولسببها غضب الرسول من مقتل الحارث بن عمير الأزدي، وقد أمّر الرسول على المسلمين زيد بن حارثة وأوصى بإمارة جعفر إن أُصيب زيد ثمّ بإمارة عبد الله بن رواحة بعد جعفر، وطلب منهم دعوة الناس للإسلام قبل البدء بالقتال، وانتهى القتال بانتصار المسلمين.

غزوة الفتح:

وقعت في السنة الثامنة للهجرة من شهر رمضان، وهي ذاتها فتح مكة، وتمثّل سبب الفتح في اعتداء بني بكر على بني خزاعة وقتل عددٍ منهم، وقد تجهَّزَ رسول الله ومن معه للسير إلى مكة، وأسلم حينها أبو سفيان، ومنح رسول الله الأمان لمن يدخل بيته تقديراً لمكانته، ودخل الرسول مكّة مكبّراً شاكراً الله على الفتح المبين، وطاف بالكعبة المشرّفة وحطّم الأصنام وصلّى ركعتين عند الكعبة، وعفى عن قريش.

غزوة حُنين:

وقعت في السنة الثامنة للهجرة في اليوم العاشر من شهر شوال، وسببها يكمُن في اعتقاد أشراف قبيلتي هوازن وثقيف بقتال الرسول لهم بعد فتح مكة فقرّروا مبادرته بالقتال وتوجّهوا لذلك، وخرج إليهم رسول الله وكلّ من أسلم معه إلى أن وصلوا وادي حُنين، وكان النصر في بداية القتال لهوازن وثقيف ثمّ تحوّل للمسلمين بعد ثبات رسول الله ومن معه.

غزوة تبوك:

وقعت في السنة التاسعة للهجرة من شهر رجب بسبب رغبة الروم بالقضاء على الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وخرج المسلمون إلى القتال وأقاموا في منطقة تبوك ما يقارب عشرين ليلة، ورجعوا دون قتالٍ. مكاتبة الملوك و الأمراء أرسل رسول الله عدداً من أصحابه رسلاً لدعوة الملوك والأمراء إلى توحيد الله فمن الملوك من أسلم ومنهم بقي على دينه،

ويُذكر من تلك الدعوات:

عمرو بن أميّة الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة.
حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر.
عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس.
دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم.
العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين.
سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة.
شجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق.
عمرو بن العاص إلى ملك عُمان جيفر وأخيه..

الوفود:

تلي فتح مكة عدداً كثيراً من الوفود حتي قدم أكثر من سبعين وفداً من القبائل بعد فتح مكة إلى رسول الله يعلنون إسلامهم، يُذكر منهم:
ـ وفد عبد القيس، وقد توافدوا مرتين الأولى في السنة الخامسة من الهجرة، والثانية في عام الوفود.
ـ وفد دوس إذ توافدوا في مطلع السنة السابعة للهجرة حين كان رسول الله في خيبر.
فروة بن عمرو الجذامي في السنة الثامنة للهجرة.
ـ وفد صداء في السنة الثامنة للهجرة. كعب بن زهير بن أبي سلمى.
ـ وفد عذرة في شهر صفر من السنة التاسعة للهجرة.
ـ وفد ثقيف في شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة. كما أرسل رسول الله خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب في نجران يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيامٍ، ودخل عددٌ منهم الإسلام، وشرع خالد في تعليمهم أمور الدين وتعاليم الإسلام، وقد أرسل رسول الله أبو موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن قبل حجّة الوداع.

حجّة الوداع:

أبدى رسول الله رغبته بالحجّ، وأظهر نيّته في ذلك، وترك المدينة مؤمّراً عليها أبا دجانة، وسار نحو البيت العتيق، وألقى خطبةً عُرفت فيما بعد بخطبة الوداع، ومن مضامينها: التحذير من الربا، وضرورة التمسك بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. البيت النبوي كان الرسول صلوات الله عليه وتسليماته مثالاً يُحتذى به في أخلاقه النبيلة والكريمة وتعاملاته السامية مع زوجاته وأبنائه وأصحابه، وبذلك استطاع صلـ الله عليه وسلم غرس المبادئ والقيم في النفوس، وقد سنّ الله في الكون التزاوج بين الذكر والأنثى، وجعل العلاقة بينهما قائمةً على المودة والرحمة والسكينة، قال -تعالى-: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)، وطبّق الرسول المعاني الواردة في الآية السابقة، وأوصى أصحابه بالنساء وحثّ غيره على رعاية حقوقهنّ ومعاملتهن معاملةً حسنةً، فكان صلـ الله عليه وسلَّمَ يواسي زوجاته ويخفّف من أحزانهنّ ويقدّر مشاعرهنّ ولا يستهزئ منهنّ ويمدحهنّ ويُثني عليهنّ، كما كان يساعدهنّ في أعمال المنزل، ويأكل معهنّ من إناءٍ واحدٍ، ويخرج معهنّ للتنزه لزيادة أواصر المحبة والمودة،

وكان النبي قد تزوّج من إحدى عشر زوجةً وهنّ:

1- خديجة بنت خويلد: وهي أول زوجةٍ للنبي ولم يجمع معها غيرها من الزوجات، وأنجب منها كلّ أبنائه وبناته إلّا ابنه إبراهيم الذي وُلد من مارية القبطية التي كانت ملك يمينٍ عند الرسول صلـ الله عليه وسلم وكان القاسم أول مولودٍ للرسول وكُنيّ به، ثمّ رُزق بزينب فأمّ كلثوم ففاطمة وأخيراً بعبد الله الذي لُقّب بالطيب الطاهر

2- سودة بنت زمعة: وهي ثاني زوجاته، ومَن وهبت يومها لعائشة حبّاً بالنبي -عليه الصلاة والسلام-، وتمنّت عائشة أن تكون مثلها وعلى هديها، وتوفيت سودة في زمن عمر بن الخطاب.

3- عائشة بنت أبي بكر الصديق: كانت أحبّ أزواج النبي إلى قلبه بعد خديجة، وكان الصحابة يعدّونها مرجعاً، حيث كانت من أفقه الناس في علوم الشريعة، ومن أفضالها أنّ الوحي نزل على رسول الله وهو في حِجْرها.

4- حفصة بنت عمر بن الخطاب: تزوّجها رسول الله في السنة الثالثة للهجرة، وقد احتفظت بالمصحف حين جُمع،

5- زينب بنت خزيمة: لقّبت بأمّ المساكين؛ لشدّة حرصها على إطعامهم وقضاء حوائجهم.

6- أم سلمة هند بنت أبي أمية: تزوّجها رسول الله بعد وفاة زوجها أبي سلمة، وقد دعا لها وأخبر أنّها من أهل الجنة.
7- زينب بنت جحش: تزوجها الرسول بأمرٍ من الله، وهي أوّل زوجةٍ كانت وفاتها بعد وفاة رسول الله.
8- جويرية بنت الحارث: تزوّجها رسول الله بعد وقوعها أسيرةً في غزوة بني المصطلق، وكان اسمها بُرّة فسمّاها الرسول جويرية، وتوفيت في السنة الخمسين للهجرة.
9- صفية بنت حيي بن أخطب: تزوّجها رسول الله بمهر عتقها بعد غزوة خيبر.
10- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان: هي الزوجة الأقرب لرسول الله نسباً بجدّهما عبد مناف.
11- ميمونة بنت الحارث: وهي آخر زوجات النبي -عليه السلام

من صفات النبي صلـ الله عليه وسلم

صفاته الخَلْقِيَّةِ

اجتمعت برسول الله -صلّـ الله عليه وسلّم- مجموعةً من الصفات الخَلقية، يُذكر منها:أنه صلـ الله عليه وسلم مربوعاً أي ليس بالطويل ولا بالقصير، الصحل في الصوت أي الخشونة، أزهر اللون أي أبيض فيه حُمرةٌ، وسيمٌ قسيمٌ أي حسنٌ جميلٌ. أزج الحاجب؛ أي رقيقاً في طوله. أكحل العينين. صلـ الله عليه وسلم

صفاته الخُلقية:

بعث الله "عزَّوجل" رسوله صلـ الله عليه وسلم ليبين للنّاس مكارم الأخلاق ويؤكّد الصالح منها ويُصلح ما فسد، وقد كان أعظم الناس أخلاقاً وأكملهم،
ومن صفاته الخُلقية التي تحلّى بها: صدقه في أعماله وأقواله ونيّاته مع المسلمين وغيرهم، ودليل ذلك تلقيبه (بالصادق الأمين)، فعدم الصدق من صفات النفاق.
سماحته وعفوه عن الناس وصفحه عنهم بقدر الاستطاعة، ومن القصص الواردة في ذلك عفوه عن رجلٍ أراد قتله وهو نائم قال صلـ الله عليه وسلم : (إنَّ هذا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وهو في يَدِهِ صَلْتًا، فَقالَ: مَن يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلتُ: اللَّهُ، - ثَلَاثًا- ولَمْ يُعَاقِبْهُ وجَلَسَ).

كرمه وجوده وعطاؤه:

فعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: (كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أجْوَدَ النَّاسِ بالخَيْرِ، وكانَ أجْوَدُ ما يَكونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ في رَمَضَانَ، حتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عليه النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ، كانَ أجْوَدَ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ.
تواضعه وعدم تعاليه على الناس أو الانتقاص من قيمتهم:
وذلك كما أمره الله -سبحانه فالتواضع من الأسباب التي تملك القلوب، فكان صلـ الله عليه وسلَّمَ يجلس بين الصحابة دون أن يميّز نفسه بأي شيءٍ، ولا يترفّع على أي أحدٍ منهم، إذ كان يخرج في الجنائز، ويزور المرضى، ويجيب الدعوة.

حفظه للسانه وعدم نطقه بالسيء والقبيح من الأقوال:
رُوي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه: (لَمْ يَكُنْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَاحِشًا، ولَا لَعَّانًا، ولَا سَبَّابًا، كانَ يقولُ عِنْدَ المَعْتَبَةِ: ما له تَرِبَ جَبِينُهُ).
احترامه للكبير وعطفه على الصغير:
كان عليه الصلاة والسلام يُقَبِّل الأطفال ويحنو عليهم.

وعن رحمته صلـ الله عليه وسلم:

كلما قلبت النظر في سيرة وشمائل الحبيب ـ صلـ الله عليه وسلم ـ تجد الكمال في أخلاقه، والسمو في تعاملاته، فكمالات خُلُقه ـ صلـ الله عليه وسلم ـ آية كبرى، وعلم من أعلام نبوته، وقد مدحه الله ـ عز وجل ـ بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }سورة القلم:4 ، ومن الكمال الخُلُقي الذي تحلى به رسول الله ـ صلـ الله عليه وسلم ـ خُلُقُ الرحمة والرأفة بالغير، فقد وهبه الله قلباً رحيماً، يرق للضعيف، ويَحُنَّ على المسكين، ويعطف على الناس أجمعين، حتى صارت الرحمة له طبعا، فشملت الصغار والكبار، والمؤمنين والكفار، والأسياد والعبيد ،وقد تجلّت مظاهر رحمته ـ صلـ الله عليه وسلم ـ بالخدم والعبيد أن جعل لهم حقوقا، وأمر بالرفق بهم، بل وحث على تحرير العبيد من رقِّهم،
وإذا ماتتبعنا التوجيهات والتوصيات التي أوصى بها النبي ـ صل الله عليه وسلم ـ بهم، فسنعرف مقدار الاهتمام الذي حازته هذه الفئة من المجتمع، في وصايا النبي ـ صلـ الله عليه وسلم ـ، وقد ساهمت هذه الوصايا بشكل كبير في تحرير العبيد، ومن ثم وقفت قيادات قريش في وجه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودينه الذي يدعو إلى تحرير العبيد، وينادي بالمساواة بينهم وبين السادة ..
لقد اهتم رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ بالعبيد في حياته وأوصى بهم خيرا حين موته، فعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: (كان آخر كلام رسول الله ـ صل الله عليه و سلم ـ الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم) رواهُ (أحمد)
وحذر النبي ـ صل الله عليه وسلم ـ من ضرب العبد أو إيذائه، فعن أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: (كنت أضرب غلاماً لي، فسمعتُ مِنْ خَلْفِي صوتا: اعلم أبا مسعود : لله أَقدر عليك منك عليه، فالتفت فإذا هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله . فقَال: أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار) (مسلم) .

بل حضَّ الرسول ـ صل الله عليه وسلم ـ على المعاملة الحسنة لهم، حتى في الألفاظ والتعبيرات، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ قال: (لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي) (مسلم) .

وجعل النبي ـ صل الله عليه وسلم ـ كفارة ضرب العبد عتقه، فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ ، من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه)(مسلم).

كما نهى النبي ـ صل الله عليه وسلم ـ عن تكليف العبيد والخدم بأعمال شاقة تفوق طاقتهم، أو الدعاء عليهم، فقال ـ صل الله عليه وسلم ـ (لا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم) (البخاري). وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قَال: قَال رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ: (لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعةَ نيل فيها عطاء فَيستجيب لكم)(أبو داود).

وكان ـ صل الله عليه وسلم ـ يوصي أصحابه بالعفو عن إساءة الخدم وخطئهم .. فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: (جاء رجل إلى النبي ـ صل الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة)(أبو داود).

كانت رسالته رحمة للعالمين، صفي القلب، طيب الفؤاد، كريم المنشأ، عظيم الخُلُق، أرقى الناس نفسًا، وأرقهم فؤادًا، وأحسنهم سَمْتًا وسلوكًا، قال عنه ربّنا في قرآنه المجيد: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} كما زكّى رسالته بقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} فاللهم صلّ وسلّم وزِد وبارِك على رسولنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، بأبي هُو وأمي ونفسي الحبيب صل الله عليه وسلم أشهر مَن اتصف بالأمَانَة في كلِّ أمور حياته، قبل البعثة وبعدها، فأما

أمانته قبل البعثة:

فقد عُرِف بين قومه قبل بعثته بالأمين ولقِّب به، فها هي القبائل مِن قريش لما بنت الكعبة حتى بلغ البنيان موضع الركن ـ الحجر الأسود ـ اختصموا فيه، كلُّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون القبيلة الأخرى حتى تخالفوا وأعدُّوا للقتال، فمكثت قريش على ذلك أربع ليالي أو خمسًا، ثمَّ تشاوروا في الأمر، فأشار أحدهم بأن يكون أوَّل مَن يدخل مِن باب المسجد هو الذي يقضي بين القبائل في هذا الأمر، ففعلوا، فكان أوَّل داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمَّد، فلمَّا انتهى إليهم، وأخبروه الخبر، قال -عليه الصَّلاة والسَّلام-: ((هلمَّ إليَّ ثوبًا، فأُتِي به، فأخذ الركن، فوضعه فيه بيده، ثمَّ قال: لتأخذ كلُّ قبيلة بناحية مِن الثَّوب، ثمَّ ارفعوه جميعًا، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده، ثمَّ بنى عليه)).

لقد منَّ الله تعالى على المؤمنين بل على الإنسانية كلها برسول الله صلـ الله عليه وسلّم حيث أراد الله تعالى أن يعيد للإنسانية صفائها، وللدنيا نورها

قال تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} التوبة آية 128

وقد كانت -ولا تزال وستظلّ- إنسانية الرسول الحبيب مثالاً يُحتذى، ونموذجًا يُقتدَى، فقد أبهرت إنسانيته العدو قبل الصديق، وشهد له الغريب قبل القريب بالعظمة والكمال..

فهذا مايكل هَارت الفيلسوف أمريكي الجنسية يكتب كتابه ـ المائةـ وهو يرتّب أعظم مائة شخصية مؤثّرة في التاريخ، وقد جعل الرسول أول هؤلاء؛ لماذا؟ لأنّه كما قال: أعظم إنسان تميّزَ على المستويين الديني والدنيوي، صاحب الشخصية المأثرة علي كل البشر جميعهم، ولمَ لا وقد أدَّبهُ ورَبَّاهُ رَبّهُ واصطنعهُ على عينهِ،واصطفاهُ ، وتمّم بحبيبه الرسالات، وأكمل به الأخلاق والإنسانية الراقية، يقول النبيّ الحبيب عن نفسه: ((إنّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَق))، فهو نبيّ الأخلاق، ورسول الرحمة، وصاحب الإنسانية الراقية.

ومن جوانب الإنسانية في القرآن الكريم:

إنَّ ماجاء بالقرآن الكريم والذي أرسله الله (عزوجل) علي نبيّ الهدي مُحَمَّد صلـ الله عليه وسلم يشمل في مضمونه الإنسانية وليس مجرد كتاب يقرأه المسلمون في المناسبات والمواسم أو للاختبارات بل هو منهج حياة المسلمين، ومنبع حضارتهم، ودليل إنسانيتهم، وسمت إسلامهم كله ففيه العقيدة، وبه التشريعات، وبين ثنايا آياته الحكيمة تجد أخلاقًا وسماتٍ وسلوكيات راقية تجلب النفع للبشرية جمعاء، فضلًا عن المسلمين.

فهو الكتاب الحقّ الذي ورد فيه ذكر (الناس) قرابة 340 مرة، وذُكر فيها (الإنسان) أكثر من 60 مرة، ووردت فيه كلمة (البشر) بألفاظ مختلفة قرابة 37 مرة، وهناك سورة في القرآن اسمها ((الإنسان)).. ألا يدلّ هذا الذكر الحكيم على اهتمام القرآن الكريم بالإنسانية جميعها ..

وتعني الإنسانية فيه ذلك السلوك القائم على احترام قيمة الإنسان وكرامته، مهما كان دينه ومعتقده ولونه وعِرقه، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} الإسراء آية 70

الأدب واللطف والرفق والرحمة والأخلاق الحميدة، التي تحتوي على معاني التراحم والتلاطف والتعاون والتآخي الإنساني والنصرة والنجدة للآخرين، قال تعالى في وصف كمال نبيّه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} آل عمران آيه 159

كما تعني التعايش السلمي المشترك بين أبناء المجتمع، إنه دعوة عالمية للتعارف والتآخي العام، حيث يقول المولى الكريم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} الحجرات آيه 13

ثانيًا: من جوانب الإنسانية في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلَّمَ

لقد تعددت ملامح مزايا الرسول الكريم في جوانب التعاملات المختلفة، حتى تعدّت حدود البشر إلى عالم الحيوان والنبات والجماد، ولمَ لا.. وقد جعل الله تعالى رسالته رحمة لجميع العوالم قال الحق: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء آيه 107

وإذا ما توقفنا علي حياة النبيّ صلـ الله عليه وسلم لنرى جزءًا يسيرًا من جوانب إنسانيته؛ لعلّنا نتخلق ونحيا على سنته ونقتدي بسيرته، وذلك على النحو التالي:

الصورة الأولى:

إنسانيته صلـ الله عليه وسلّم مع أهل بيته:

لقد وصف الله "عزَّوجل" نبيه في محكم تنزيله بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، فقال عنه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} التوبة آيه 128

ومن المعلوم أنه إذا أراد الإنسان أن يعرف طبع إنسان على وجه الحقيقة فلينظر في حاله مع أهله، وها هو الرسول الكريم يصف نفسه في هذا الجانب بقوله، فيما رواه ابن ماجه والترمذي بإسناد صحيح عنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».. ولننظر إلى شأن إنسانيته مع أهله، فنراه:

كان في مهنة أهله.. يصعد للسماء السابعة ثم يعود ليخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته، ويساعد أهله في البيت في الطعام والشراب، كان ضحّاكًا بسّامًا، يضاحكهم ويلاعبهم ويسابقهم ويتودّد إليهم، ويصرّح بحبه لزوجاته، كما كان من شأنه مع أم المؤمنين عائشة.

كان إنسانًا يقدِّرُ أهله وفيًا، فقد يفي الإنسان لزوجه في حال الحياة، لكن أن يكون وفيًّا في الحياة وبعد الممات فتلك قمّة الإنسانيّة، كما كان صلـ الله عليه وسلم مع أم المؤمنين خديجة، وقد صرّح بحبّها وأن الله لم يرزقه خيرًا منها، وأنّه رُزِق حبّها، وكان يُهدي أهلها مما يذبح

الصورة الثانية:

إنسانيته صلـ الله عليه وسلّم مع الخادِم:

ورغم أنّ السيد مع خادمه عادة ما يرفع رأسه بطبيعة جوّ الخدمة والأخذ والردّ، إلا أنّ الرّحمة المهداة ما كان كذلك، بل كان يدعو إلى إكرامهم ، والإحسان إليهم، وكان صلوات الله عليه وتسليماته يقوم هُو بتطبيق ذلك على نفسه، وكان أحد هؤلاء الأكارم من أصحاب النبيّ، وكان خادمه لمدة عشر سنين، فكما في الحديث عند البخاري ومسلم، من حديث أَنَسٍ، قَالَ:(خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ سِنِينَ، فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئًا قَطّ)..

الصورة الثالثة:

إنسانيته صلـ الله عليه وسلّم في صناعة المعروف:

صنائع المعروق تقي مصارع السوء

كان النبي الكريم صلـ الله عليه وسلم يفكر ويخطط لأمر عظيم طال انتظاره وهو فتح مكة فقد تكتم على الأمر وضرب على الأمر من السرية التامة ، وأخفاه حتى عن أقرب الناس إليه وهو أبوبكر الصديق وزوجته عائشة رضي الله عنهما، ورغم أنه صل الله عليه وسلم لم يقم بإخبار أحد عن نيته بقصد منع انتقال الخبر إلى قريش، إلا أن واحداً من الصحابة وهو حاطب بن أبي بلتعة من بعد أن أخبر الرسول الكريم صل الله عليه وسلم أصحابه بالأمر ، بعث كتاباً إلى قريش يريد أن يخبرهم باستعداده صلى الله عليه وسلم لغزو مكة، مما علم النبي صل الله عليه وسلم بعد ذلك بما حدث من حاطب بن أبي بلتعة، وذلك عن طريق الوحي، فبعث الزبير وعلياً والمقداد ليلحقوا بامرأة تولت حمل رسالة حاطب إلى قريش،

فأمسكوا بها وأرجعوها إلى المدينة، ثم جيء بحاطب الذي أدرك أنه هالك لكنه أعلنها بصراحة تامة أنه لم يقم بذلك ارتداداً عن دينه ولا حباً في قريش، وإنما خشية أن تنقلب الموازين وينتصر المشركون، فيقوم المسلمون الأقوياء بحماية عائلاتهم في مكة، وهو لا ظهر له ولا قوة يحمي بها أهله، فأراد أن يكون ذلك نوعاً من الجميل يحفظه له قريش إذا ما حدث ولم يستطع الرسول فتح مكة، لكن النبي صل الله عليه وسلم قد أدرك ببصيرته وكرمه ورحمته بأصحابه حقيقة نية حاطب بن أبي بلتعة فقال لأصحابه وهم يشهدون اعتراف حاطب:((أما إنَّه قد صدقكم)).

لكن هذا لم يعجب عمر فاستأذن أن يضرب عنقه لأنه خان الله ورسوله، فما كان من النبي الرحيم صل الله عليه وسلم إلا أن قال له :" إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله اطّلع على من شهد بدراً، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم"(اللهم صلـ وسلم وبارك عليك ياحبيبي يارسول الله)

حاطب شهد بدراً وهي معركة ليست كأي معركة، ومن ثبت يومها ، كان دليل صدق مع الله ولم ليكن ليثبت غير الصادقين الراغبين فيما عند الله، وبهم أعز الله الإسلام وشتت الكفر وفرق بين الحق والباطل، ولهذا استحقوا تلك الدرجة العالية.. ولولا ذاك العمل العظيم والجميل لحاطب، ما كان يسلم من سيف عمر، وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليعارض عمر في رأيه السديد ذلك.. ولكن هكذا "صنائع المعروف تقي مصارع السوء"

الصورة الرابعة:

إنسانيته صل الله عليه وسلّم في نُصرة المظلوم:

لم يكن رسول الله يومًا ليتباطأ حاشاه عن نصرة إنسان أراد النّصرة والنجدة، ولو كان غير مسلم، إنه إنسان، وبنيان الله تعالى (الإنسان) لا يصح أن تسلمه لغيره أو أن تخذله في موطن يحب فيه النصرة والنجدة وصرف الهمّ عنه، فها هو عربيّ يستنجد بأي أحد ينصره ويأتي له بماله من العاص بن وائل، فلا يتحرّك لها أحد، هل عقم العرب أن يخرجوا رجلًا إنسانًا، ما عقم العرب!! فلقد اجتمع كبار القوم في دار عبدالله بن جُدعان فيما عُرف في السير بحِلف الفُضول، وتحالفوا على نصرة المظلوم، ويحضر معهم الرسول نصرة لذاك المظلوم، إنه إنسان، ويوم أن هاجر النبيّ إلى المدينة، أخذ يحدّث بخبر هذا الحلف، فيقول: (لقد دعيت في الجاهلية إلى حلف عبدالله بن جدعان، لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت).. إنها الإنسانية التي يفتقدها العالم المُدَّعِي للمدنية والتحضّر في العصر الحديث..

وفي يوم آخر يأتي رجل يستنجد بمن يُعيدُ له مالَهُ من عند أبي جهل فبعثه المشركون إلى رسول الله صلـ الله عليه وسلم ليشمتوا ويشاهدوا موقفاً من الإيذاء للرسول، فيذهب رسول الله صلـ الله عليه وسلم مع الرجل، فيحل الرعب والخوف في نفس أبي جهل ، ويأتي بالمال للرجل، ويتعجب القوم مما قد شاهدوه ..

عن بن هشام بسنده في سيرته "قَالَ قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ إرَاشٍ بِإِبِلِ لَهُ مَكّةَ، فَابْتَاعَهَا مِنْهُ أَبُو جَهْل فَمَطَلَهُ بِأَثْمَانِهَا. فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيّ حَتّى وَقَفَ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ جَالِسٌ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَنْ رَجُلٌ يُؤَدّينِي عَلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، فَإِنّي رَجُلٌ غَرِيبٌ ابْنُ سَبِيلٍ وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقّي ؟ قَالَ فَقَالَ لَهُ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَتَرَى ذَلِكَ الرّجُلَ الْجَالِسَ لِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُمْ يَهْزَءُونَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ مِنْ الْعَدَاوَةِ اِذْهَبْ إلَيْهِ فَإِنّهُ يُؤَدّيك عَلَيْهِ. فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيّ حَتّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ إنّ أَبَا الْحَكَمِ بْنَ هِشَامٍ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقّ لِي قِبَلَهُ وَأَنَا (رَجُلٌ) غَرِيبٌ ابْنُ سَبِيلٍ وَقَدْ سَأَلْت هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ رَجُلٍ يُؤَدّينِي عَلَيْهِ يَأْخُذُ لِي حَقّي مِنْهُ فَأَشَارُوا لِي إلَيْك، فَخُذْ لِي حَقّي مِنْهُ يَرْحَمُك اللهُ قَالَ انْطَلِقْ إلَيْهِ وَقَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَلَمّا رَأَوْهُ قَامَ مَعَهُ قَالُوا لِرَجُلٍ مِمّنْ مَعَهُمْ اتْبَعْهُ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُ. قَالَ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى جَاءَهُ فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ مُحَمّدٌ فَاخْرُجْ إلَيّ فَخَرَجَ إلَيْهِ وَمَا فِي وَجْهِهِ مِنْ رَائِحَةٍ قَدْ اُنْتُقِعَ لَوْنُهُ فَقَالَ أَعْطِ هَذَا الرّجُلَ حَقّهُ قَالَ نَعَمْ لَا تَبْرَحْ حَتّى أُعْطِيَهُ الّذِي لَهُ قَالَ فَدَخَلَ فَخَرَجَ إلَيْهِ بِحَقّهِ فَدَفَعَهُ إلَيْهِ. (قَالَ): ثُمّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَالَ لِلْإِرَاشِيّ الْحَقْ بِشَأْنِك، فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيّ حَتّى وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ وَاَللهِ أَخَذَ لِي حَقّي

قَالَ وَجَاءَ الرّجُلُ الّذِي بَعَثُوا مَعَهُ فَقَالُوا: وَيْحَك مَاذَا رَأَيْت؟ قَالَ عَجَبًا مِنْ الْعَجَبِ وَاَللهِ مَا هُوَ إلّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَخَرَجَ إلَيْهِ وَمَا مَعَهُ رُوحُهُ فَقَالَ لَهُ أَعْطِ هَذَا حَقّهُ فَقَالَ نَعَمْ لَا تَبْرَحْ حَتّى أُخْرِجَ إلَيْهِ حَقّهُ فَدَخَلَ فَخَرَجَ إلَيْهِ بِحَقّهِ فَأَعْطَاهُ إيّاهُ. قَالَ ثُمّ لَمْ يَلْبَثْ أَبُو جَهْلٍ أَنْ جَاءَ فَقَالُوا (لَهُ) وَيْلَك مَالك ؟ وَاَللهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْت قَطّ قَالَ وَيْحَكُمْ وَاَللهِ مَا هُوَ إلّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيّ بَابِي، وَسَمِعْت صَوْتَهُ فَمُلِئَتْ رُعْبًا، ثُمّ خَرَجْتُ إلَيْهِ وَإِنّ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلًا مِنْ الْإِبِلِ مَا رَأَيْت مِثْلَ هَامَتِهِ وَلَا قَصَرَتِهِ وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطّ، وَاَللهِ لَوْ أَبَيْتُ لَأَكَلَنِي". وذكرها ابن كثير في البداية والنهاية.

الصورة الخامسة:

إنسانيته صلى الله عليه وسلّم في التعامل مع المخطئين والعُصاة والمذنبين: يظهر معدن الشخص الناجح في حُسْن علاقاته بالناس، ليس فقط فيمن يؤيدونه أو يسمعون كلامه،

بل تظهر شخصيته على وجه الحقيقة مع المخطئ والمُذْنب، وقد تكررت أحداث كثيرة في حياة الرسول لأناسٍ وقعت منهم أخطاء، لكنه كان إنسانًا راقيًا سمحًا عند علاج أخطائهم، ولننظر في هذه النماذج الرائعة من حياته الرقراقة حُنوه على الشاب الذي أراد الزنا، وكاد الصحابة أن يفتكوا به، غير أنه صل الله عليه وسلّم قال لهم: دعوه لي!! وتحدّث معه بحكمة وأدب، واستخدم جزءًا من طبيعة البيئة العربية (الشهامة والنّخوة) ثم دعا له، وخرج الشاب وليس أكره إلى قلبه من الزّنا

عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: (إن فتى شابا أتى النبيَّ ـ صل الله عليه وسلم ـ فقال: يا رسول الله، إئذن لي بالزنا!، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟، قال: لا والله، يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال: فوضع يده عليه وقال: اللَّهمّ اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحَصِّنْ فرْجَه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) رواه أحمد .

وفي رواية أخرى: وقال: (اللهم طهّر قلبه، واغفر ذنبه، وحَصِّنْ فرْجَه، فلم يكن شيء أبغض إليه منه أي- الزنا -) .

رفقته بالرجل الذي بال في المسجد، أعرابيّ لا يعرف عن طبيعة المدنيّة شيئًا، وأراد الصحابة كتلاميذ بين يدي أستاذهم أن يقطعوا عليه بَوْلَتَه، غير أن الأستاذ الأجلّ، والمعلّم الأعظم، والإنسان الأعز والأرقي قال لهم: دعوه، وأريقوا عليه سجلًا من ماء، ثم نصحه برحمة وإنسانية راقية، جعلت الرجل من رحة سيدنا النبي وقسوة أصحابه في بادئ الأمر يرفع يديه إلى السماء، ويدعو: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فردّ عليه الرسول: لا تحجّر واسعًا، وقل: اللهم ارحمني وأمّة محمد..

عن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله : مَه مَهْ، قال: قال رسول الله : ((لا تزرموه، دعوه))، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله دعاه فقال لـه: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن))،
أو كما قال رسول الله قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه، وقد ثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي قال: اللَّهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فعن أبي هريرة قال: قام رسول الله وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللَّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلم النبي قال للأعرابي: ((لقد حجَّرت واسعاً)) يريد رحمة الله.
وتفسر هذه الرواية الروايات الأخرى عند غير البخاري، فعن أبي هريرة قال: دخل رجل أعرابي المسجد فصلى ركعتين ثم قال: اللَّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً! فالتفت إليه رسول الله فقال: ((لقد تحجّرت واسعاً))، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول الله : ((إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، أريقوا عليه دلواً من ماء، أو سجلاً من ماء)).
قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه، فقام النبي إليّ بأبي وأمي فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب.
وهذا الأعرابي قد عمل أعمالاً تثير الغضب، وتسبب عقوبته وتأديبه من الحاضرين، ولذلك قام الصحابة إليه، واستنكروا أمره، وزجروه، فنهاهم النبي أن يقطعوا عليه بوله.
وهذا في غاية الرفق والحلم والرحمة، ويجمع ذلك كله الحكمة، فقد أنكر النبي بالحكمة على هذا الأعرابي عمله، فقال لـه حينما قال: "اللَّهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً ((لقد تحجرت واسعاً))، يريد رحمة الله، فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، قال : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ، فقد بخل هذا الأعرابي برحمة الله على خلقه.
وقد أثنى الله على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ .
وهذا الأعرابي قد دعا بخلاف ذلك، فأنكر عليه النبي بالحكمة، وحينما بال في المسجد أمر النبي بتركه لأنه قد شرع في المفسدة، فلو منع ذلك لزادت المفسدة، وقد حصل تلويث جزء من المسجد، فلو منعه بعد ذلك لدار بين أمرين:
الأول: إما أن يقطع عليه بوله فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه..

الثاني: وإما أن يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه، أو ثوبه، أو مواضع أخرى من المسجد.
فأمر النبي بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهي دفع المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما.
هذا من أعظم الحكم العالية، فقد راعى النبي هذه المصالح، وما يقابلها من المفاسد، ورسم لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، ولا سبٍّ ولا إيذاء ولا تشديد، إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولا استخفافاً، وقد كان لتلك الرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره، فقد قال بعد أن فقه كما تقدم وفي رواية الإمام أحمد: فقام النبي إليّ بأبي وأمي، فلم يسبّ، ولم يؤنّب، ولم يضرب، ولقد أثّر هذا الخلق العظيم في حياة الرجل، فكان صل الله عليه وسلم نعم المربي ونعم مما اتصف بالرحمة والحلم علي خلق الله.
وفي مثال إنساني رائع للغاية: حين وجّه طاقة (سلمة) الشاب المسلم حديثًا يوم الفتح، حيث استهزأ من الأذان وبلال يصدح به عند الكعبة، فبلغ الأمرُ النبيَّ صل الله عليه وسلّم فاستدعاه، وأيقن الشاب أنه هالك لا محالة، فإذا برسول الله يستقبله استقبالًا حانيًا، ثم يستوجبه استجواب الهادي، فيقول: بلغني يا سلمة أنك حسن الصوت**!!** فقال الغلام: نعم يا رسول الله، فقال الحبيب: هل لك أن أُعَلِّمَك الأذان؟ فرد الشاب متعجبًا: أوَ تفعل يا رسول الله؟ قال: نعم، ومن يومها صار سلمة مؤذن أهل مكة بعد عودة النبي وبلال إلى المدينة بعد الفتح...
أبو محذورة الجمحي رضي الله عنه اسمه سلمة بن معير وقيل سمرة، وفي قصة أذانه يحكى أنه لما سمع الأذان وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا يستهزؤون ويحكون صوت المؤذن غيظاً، فكان هو من أحسنهم صوتا، فرفع صوته مستهزئاً بالأذان فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح النبي صل الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده قال: فامتلأ قلبي والله إيماناً ويقيناً وعلمت أنه رسول الله، فألقى عليه النبي صلى الله عليه وسلم الأذان وعلمه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة، وهو ابن ست عشرة سنة، فكان مؤذنهم حتى مات، ثم كان عقبه بعد يتوارثون الأذان كابرا عن كابر، وفي أبي محذورة يقول الشاعر:
أما ورب الكعبة المستوره * وما تلا محمد من سوره
والنغمات من أبي محذوره * لأفعلن فعلة مذكوره
يقول صاحب الإصابة في تمييز الصحابة: وروى أبو محذورة عن رسول الله صل الله عليه وسلم أنه علمه الأذان وقصته بذلك في صحيح مسلم وغيره، وفي رواية همام عن ابن جريج أن تعليمه إياه كان بالجعرانة ، وقال ابن الكلبي لم يهاجر أبو محذورة، بل أقام بمكة إلى أن مات بعد موت سمرة بن جندب، وقال غيره: مات سنة تسع وخمسين، وقيل سنة تسع وسبعين.

الصورة السادسة:

إنسانيته صل الله عليه وسلّم في التعامل مع الأعداء والأسرى:
قد تظهر في علاقة الإنسان بعدوه كل المساوئ في الأخلاق، وتلك أمور طبيعية في نفوس بشرية غير أن صاحب النفس الشافية الراقية رسول الله لم يتعرّض لهذه المشاعر القاسية البتّة، بل كان أرحم الناس بأعدائه إذا فهموا أو حلموا، وما كان له لينتقم إلا ممن آذى الله تعالى وتعرّض لشرعه، أمّا نفسه فكان عفوًّا كريمًا، وتلك أمثلة واضحة على إنسانيته حين التعامل مع الأعداء وفي المعارك والغزوات، ومن تلك المواقف ما يأتي:
إنسانيته يوم الطائف وقد عُذِّبَ وتسفه القوم عليهﷺ ويأتي ملك الجبال، فيخبره بأنه إذا شاء أن يُطبق عليهم الجبل لفعل، إلا أنه صاحب الإنسانية بأبي هُو وأمي الحبيب رسولنا الكريم قال: (لا فإني لأرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبُد الله ويوحِّده)

إنسانيته في يوم الفتح

حين أتاه القوم، وهو الفاتح المظفّر، وتوقعوا الهلاك والقتل، إلا أنه يسألهم بنبرة المتواضع لا المتكبر، بنبرة الإنسان الذي يشعر بالضعيف في موطن ضعفه وانكساره: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: إذهبوا فأنتم الطلقاء

إنسانيته في الغزوات

حين كان يوصي الجند بأخلاقيات الحروب الإنسانية في الإسلام: فعند ابن أبي شيبة في مصنفه، وعند غيره من حديث سُلَيْمَان بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا قَالَ: «لَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ولا امرأةً» وفي رواية أخرى: «لا تقطعوا شجرة، ولا تقتلوا شيخًا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتحموا على عابد صومعته.....».. فهل وجد مثل هذه الإنسانية في حياة الفاتحين للبلدان قديمًا أو حديثًا إلا في سيرة النبي صلـ الله عليه وسلم

إنسانيته مع الأسرى؛

حيث وجدناه رحيمًا يوم بدر يرضى بالفدية تخفيفًا عنهم، وإن عوتب في ذلك في القرآن، ووجدناه مع سُفانة بنت حاتم الطائي أكرم العرب وكانت شهرته ذلك يأذن لها بالانصراف من الأسر، هي والنسوة الأسيرات معها، وخرجن بصحبة مجموعة من الصحابة حتى وصلن إلى بلادهن، بعد أن فرّ وهرب أخوها عديّ إلى ملك الروم، وأكرم النبي وفادتها وتلطف بها، وشكر لأبيها كرمه ثم عقَّب لولا أنه مات كافراً لتَرَحَّمْنَا عليه.
وذكر عن عدي بن حاتم قال: قلت : " يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم، وكان يفعل ويفعل، قال: إن أباك أراد أمراً فأدركه يعني: الذِّكر .
رواه أحمد (30 / 200) ، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، وصححه ابن حبان (1 / 41) .
عن سهل بن سعد الساعدي أن عدي بن حاتم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا رسول الله إن أبي كان يصل القرابة ويحمل الكلَّ ويطعم الطعام، قال : هل أدرك الإسلام ؟ قال : لا، قال : إن أباك كان يُحبُّ أن يُذكر " .
رواه الطبراني في " الكبير " (6 / 197) ، وفيه : رشدين بن سعد، وهو ضعيف، لكن يشهد له ما قبله .
ومعنى : (يحمل الكلّ) أي ينفق على الضعيف والفقير واليتيم والعيال وغير ذلك .
قال ابن كثير : وقد ذكرنا ترجمة حاتم طيء أيام الجاهلية عند ذكرنا من مات من أعيان المشهورين فيها وما كان يسديه حاتم إلى الناس من المكارم والإحسان، إلا أن نفع ذلك في الآخرة أي : (مشروط) بالإيمان، وهو ممن لم يقل يوماً من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .

ومن إنسانيته مع أعدائه:

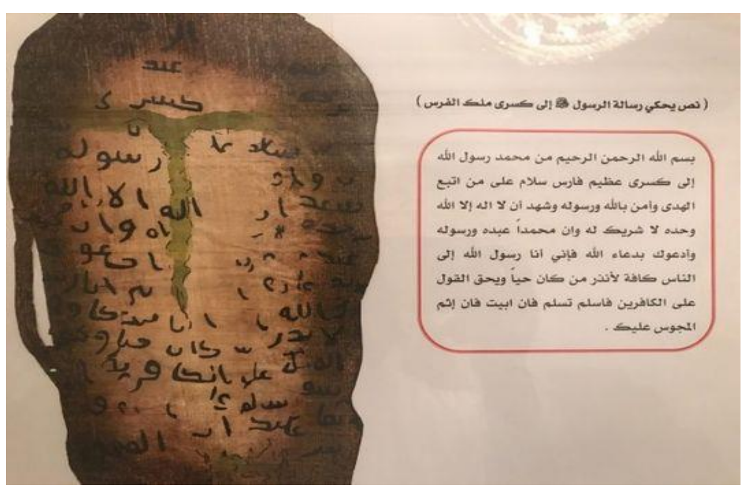
أنه كان ينادي عظماء القوم برتبهم الملكية، مما وجدناهُ في رسائلهِ صلـ الله عليه وسلم إلى الملوك ومنهم"
رسالته صلـ الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط
رسالته إلى جُرَيْج بـن مَتَّي ـ ملك مصر والإسكندرية ـ والمُلَقّب بالمُقَوْقِس، وقد بعث به مع حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

ذكر الواقدي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى المقوقس مع حاطب بن أبي بلتعة: "بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط (أي أهل مصر)، {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران:64)".
ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس تحمل في طياتها الكثير من الفوائد، ومنها:
- حكمته صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله عز وجل، ونستطيع أن نرى ذلك من خلال الرجوع إلى ما تضمنته هذه الرسالة، حيث كان المقوقس ممن يدين بالنصرانية المحرّفة التي تغلو في المسيح عيسى عليه السلام وترفعه إلى درجة الألوهية، ومن ثم أكد النبي صلى الله عليه وسلم على عبودية الناس لله رب العالمين، فذكر في رسالته إليه قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران:64).
- استحباب ابتداء الكلام بـ "بسم الله الرحمن الرحيم" في الكتب والمراسلات وغيرها، قال الطيبي: "استحباب تصدير الكلام بالبسملة وإن كان المبعوث إليه كافراً".
- ومنها: أن السُنّة في المكاتبة بين الناس أن يُبْدَأ بنفسه: "من محمد بن عبد الله إلى المقوقس"، وكما قال الله تعالي: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (النمل:30).
- تسمية الملوك بأسمائهم وألقابهم التي عُرِفوا بها ولا يوجد فيها خطأ شرعي، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إلى المقوقس عظيم القبط)

رسالة الرسول صلـ الله عليه وسلم إلي كسري ملك الفرس

قد اختار النبي صل الله عليه وسلم لحمل هذه الرسالة إلى كسرى ملك الفرس عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه وكان نص الرسالة يقول:
"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك".

هذا نص الرسالة رسالة عظيمة تحمل دعوة واضحة وكلاماً صريحاً بدأ النبي صل الله عليه وسلم رسالته بـ بسم الله الرحمن الرحيم ثم أنزل الملك منزلته وأعطاه قدره فقال: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس وسلم عليه وحياه بقوله ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ [طه: 47] وبيّن له في هذه الرسالة المختصرة عظمة الإسلام وأن الأمن والسلام على من آمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله ثم وجه له النبي صل الله عليه وسلم دعوة خاصة فقال له "أسلم تسلم" من عذاب الدنيا وخزيها وشقائها وتسلم من عذاب الآخرة وجحيمها ونكالها فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك إذا حجبت عنهم دعوة الإسلام وحِلْتَ بينهم وبين دين الله

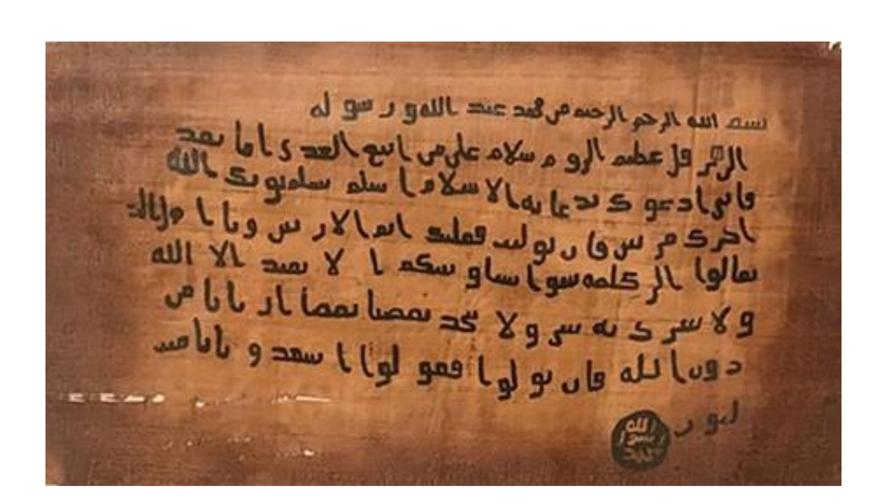


رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم:

حمَل دِحْيَةُ الْكَلْبِيّ رضي الله عنه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم، قال ابن حجر في كتابه "الإصابة" عن دحية رضي الله عنه: "كان يُضرب به المثل في حسن الصورة"، وكان مع حسن صورته ومظهره فارساً ماهراً، وعليماً بالروم. واسم قيصر الذى كان بالشام وكتب إليه النبى صلى الله عليه وسلم كتابه: هِرَقل، وهل يقال له: هرقل أم قيصر؟ قال الشافعي: "هو هرقل، وهو قيصر، فهرقل اسم عَلَم له، وقيصر لقب". وقد روى البخاري في صحيحه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام،

وبعث بكتابه إليه دحية الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، فإذا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت عليك إثم الأريسيين، {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}(آل عمران64)).

وقد تسلّمَ هرقل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ودقق في الأمر، وفي الحديث الطويل المشهور بين أبي سفيان ـ قبل إسلامه ـ وهرقل، حين سأله هرقل عن أحوال وصفات النبي صلى الله عليه وسلم، وأجابه أبو سفيان عنها، قال له هرقل بعد ما سمعه منه: (إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه (تكلفت المشقة للوصول إليه)، ولو كنتُ عنده لغسلت عن قدميه) رواه البخاري. وذلك لعلم هرقل من خلال النصرانية التي لم تُحَرَّف، ببعض صفات النبي الذي بشر به عيسى عليه الصلاة والسلام، ووجدها هرقل في النبي صلى الله عليه وسلم من خلال كلام أبي سفيان عليه.


بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد
فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله
اجرك مرتين فان توليت فعليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
الله
رسول
محمد

رسالته صل الله عليه وسلم للنجاشيِّ

"بسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللهِ إلَى النّجَاشِيّ عَظِيمِ الْحَبَشَةِ؛ أَسْلِمْ أَنْتَ، فَإِنّي أَحْمَدُ إلَيْكَ اللّهَ الّذِي لَا إلَهَ إلّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدّوسُ السّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ وَأَشْهَدُ أَنّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطّيّبَةِ الْحَصِينَةِ فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَخَلَقَهُ اللّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَإِنّي أَدْعُوكَ إلَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَنْ تَتْبَعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالّذِي جَاءَنِي فَإِنّي رَسُولُ اللهِ وَإِنّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَقَدْ بَلّغْتُ وَنَصَحْت فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي وَالسّلَامُ عَلَى مَنْ اتّبَعَ الْهُدَى"

إن المتمعن في رسالة رسول الله محمد صل الله عليه وسلم إلى النجاشي عظيم الحبشة يجد: أنه قد تميزت هذه الرسالة عن سابقاتها بعنصر الإطالة الإيجابية، والمزيد من الإيضاح وذكر التفاصيل وذلك لعلمه صلـ الله عليه وسلم أن النجاشي معتنق للنصرانية ففي الرسالة تشابه كبير فيما جاء في رسالتي قيصر والمقوقس، كما يتضح أيضاً يقين الرسول صل الله عليه وسلم بتدين النجاشي بشكل حقيقي وليس شكلي من أجل الملك، لهذا رَكَّزَ على ذكر المزيد من أسماء الله الحسنى ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: 23]، وذلك من أجل بث الطمأنينة في نفس النجاشي ومنحه القوة اللازمة لاتخاذ القرار المناسب بإيمان راسخ وبلا تردد،

إضافة أن للنبي صل الله عليه وسلم معرفة بأخبار النجاشي ولأن الكثير من أصحابه صل الله عليه وسلم كانوا عنده، وإن مجرد احتضان المسلمين لديه هو موقف كبير يدل على قناعته بالإسلام، لذلك رَكَّزَ رسول الله مُحَمّدٌ صل الله عليه وسلم على هذا الجانب تقديم النصح وقبول الإسلام،

والمُدَقِّقُ في الرسالة الموجهة للنجاشيِّ لن يجد فيها (فإن توليت فعليك أثم....)، كما فعل مع غيره، كما أنه خاطبه بـ (أسلم أنت)، أي ما عليك بحاشيتك وجنودك وفي ذلك إشارة إلى علمه صل الله عليه وسلم بأنه حين يسلم سيرضخ لأمر الإسلام من حوله، كما حرص رسول الله صل الله عليه وسلم على أن تشتمل الرسالة على أجوبة للشكوك التي حاول موفد قريش للنجاشي (حين ذهب إليه المهاجرون من المسلمين) أن يثيرها أمامه في كيفية ولادة السيد المسيح بن مريم عليه السلام، ووصف الإسلام الدقيق والمفصل للمسيح عليه السلام ولأمه مريم عليها السلام، حتى لا يبقى في الموضوع أدنى شك أو ريبة، ويمكننا القول أن في الرسالة دعوة خاصة لجنود النجاشي، لأن رسول الله مُحَمَّدٌ صلـ الله عليه وسلم يعلم علم اليقين إن مَنْ حول الملك من الحاشية والمستشارين والرهبان لهم مصالح شخصية، فسيدفعونه باتجاه عدم الرضا بالإسلام، ولكن الخير في الجنود الصالحين وأن الملك قوي بجنوده فإن أسلم الجنود استطاع الملك تنفيذ ما يربو إليه بهم، ويسهل الأمر دون اقتتال أوفتن.

وكان رد النجاشي:"بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلى مُحَمّدٍ رسول اللهِ، من النجاشي أصحمة، سلامٌ عليك يا نبيَّ الله من الله ورحمةُ الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هُوَ، أما بعد: فقد بلغني كِتابُك يا رسولَ الله فيما ذكرتَ مِن أمر عيسى، فوربِّ السماءِ والأرضِ، إنَّ عيسى لا يزيدُ على ما ذكرتَ ثُفْروقاً[2] إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرَّبنا ابن عمك وأصحابه، فأشهدُ أنَّك رسول الله صادقاً مُصَدّقَاً، وقد بايعتُك، وبايعتُ ابنَ عمك، وأسلمتُ على يديه للهِ رب العالمين"

لإنّ المتمعن في رسالة النجاشيِّ ورده يجد أن الرسالة قد احتوت على عبارات خاصة بالمسلمين، لم تكن معروفة أو متداولة من قبل، مثل:

بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك ورحمة الله وبركاته

وتلك دلالة على تأثر النجاشي (أصحمة) بالمسلمين المتواجدين عنده، ودخوله في الإسلام وتأثره به.

ـ الاعتراف بألوهية الله وحده لا شريك له، وإن ذلك كفر صريح بعقيدة الثالوث التي تؤمن بها النصارى.

ـ ثبوت دخوله في الإسلام بنطق الشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وتقديم عهد البيعة لرسول الله صل الله عليه وسلم لذلك فقد أمر رسول الله محمد صل الله عليه وسلم الصحابة بالصلاة عليه كما يُصلى على أي مسلم مات على إسلامه، وكانت الصلاة صلاة (الغائب)،

فعن عن أبي هريرة رضي الله عنه:" أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه خرج إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربعاً "



الصورة السابعة:

إنسانيته صلـ الله عليه وسلّم مع النساء عامة
تعامل الرسول مع نساء المسلمين حثّ النبي صلـ الله عليه وسلم على رفع قدر ومكانة المرأة وشأنِها، وجعلها في مكانٍ يليق بها، وفي عرفاتٍ بحجّة الوداع تكلّم عن حُرمتِهِنّ ومكانَتِهِنّ، كقوله صلـ الله عليه وسلم: (فَاتَّقُوا اللَّهَ في النِّسَاءِ، فإنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بكَلِمَةِ اللهِ)،
وكرّمها سواءً كانت أُمّاً أو بنتاً أو زوجة، وكان ذلك جليّاً في كثيرٍ من الأحاديث، كقوله: (استوصُوا بالنِّساءِ خيرًا)، كما أنه كان يهتمّ بتَعليمِهِنّ، فعقد معهنّ موعداً، ووَعظهنّ ونَصحهُنّ، وكان ممّا قاله لهنّ: (ما مِنَ امرأةٍ تُقَدِّمُ ثَلاثًا مِنَ الولدِ تَحْتَسِبُهُنَّ إلَّا دخلَتْ الجنةَ، فقالتْ امرأةٌ مِنْهُنَّ: أوْ اثْنانِ؟ قال: أوْ اثْنانِ)،وكُنّ يسألنِ والنبي عليه الصلاة والسلام يُجيبُهُنّ، بالإضافة إلى توصية الأزواج بِهِنّ، وعدم ظُلمِهِنّ، وعدم بُغضها أو كراهيتها لبعض أخلاقها السيئة، لِما تحمله من أخلاقٍ فاضلةٍ أُخرى، قال صلـ الله عليه وسلم: (اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ، فإنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ، وإنَّ أعْوَجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ) وكان النبي عليه الصلاة والسلام يُسلّم على الجماعةِ من النساء برفع يده، وكانت الطفلة الصغيرة تأخُذ بيده حيثُ تُريد، ويمشي مع الأرامل والمساكين منهُنّ في قضاء حوائِجِهِنّ، وذات يومٍ لَقِيَته امرأةٌ وصبيّ، وقالا: إن لنا حاجة، فقام معهما حتى قضى لهما حاجتهما، وكان يتواضعُ معهُنّ، ويرفق بهنّ، ومن صور ذلك حديثُ أنس -رضي الله عنه (جاءت امرأةٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسولَ اللهِ، إن لي إليك حاجةً، فقال لها: يا أُمَّ فلانٍ، اجلسي في أيِّ نواحي السِّكَكِ شئتِ حتى أجلسَ إليك. قال: فجلستْ، فجلسَ النبيُّ صل الله عليه وسلم إليها، حتى قضت حاجتَها).
أما عن إنسانية الرسول صل الله عليه وسلّم مع أهل بيته ومع زوجاته، ونحن هنا نبين جزءًا من إنسانيته وحُسْن خُلُقه مع المرأة بصفة عامة، كابنة، وأم، وزوجة، وقريبة، فوجدناه صل الله عليه وسلم يستأذن ربَّه في أن يزور أمّه فأذِن اللهُ له، ويتألف قلب زوجه بكلمات الحب والثناء كتصريحه بحب خديجة وعائشة، وها هو يقبّل ابنته الزهراء بين عينيها، كما وجدناه يتودّد إلى أُمّ أيمن حاضنته، ويراها أُمَّه بعد أمِّه.. وتأخذ الجارية بيده إلى السوق...

كان النبي صلـ الله عليه وسلم يُعامِلُ زوجاته أفضل مُعاملة، وجاء في قول زوجته عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن مُعاملته لَهُنّ إنه كان أكرم الناس خُلُقاً، وكان ضحّاكاً بسّاماً، كما أنه كان يقوم بالعمل معهنّ ومُساعدتهنّ في أعمال البيت، وكان يخدم نفسه بنفسه، ولا يصرخُ في وجوههنّ، أو يطلُب منهنّ خدمته، ويجلس معهنّ، ويأخُذ بِمشورتهنّ، ويُسامِرُهنّ، ويستمع لِحَدِيثِهنّ، وهذا كُله في جميع أوقاته، فذات مرةٍ استمع لزوجته عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي تُكلّمه عن إحدى عشرة نسوةً كُنّ في الجاهليّة، ومن مُلاطفته لزوجاته أنه تسابق مع عائشة وهو في السفر، وقد أخذ برأي زوجته أُمّ سلمة في أمرٍ مهمٍ بعد صُلح الحُديبية، وكانت آخر وصاياه في النساء، بالإضافة إلى عدله بينهُنّ، وتطْيِيبِه لِخاطِرِهِنّ، فقد ثبت أنّ حفصة عَيَّرت صفيّة بأنها ابنة يهوديّ، فأخبرت النبي صلـ الله عليه وسلم بذلك فطيّب خاطرها بأنْ بيّن لها أنّ نسبها ينتهي إلى نبيّ الله هارون ـ عليه السلام ـ

تعامل الرسول مع بناته كان النبي صلـ الله عليه وسلم يفرح ويستبْشر لمولد بناته، ويقوم على تربيتهنّ، ويتوسّمُ فيهنّ الخير والبركة، ويُزوّجُهنّ بالزوج التّقي، صاحب الدين والأخلاق، كما أنه كان يوفّر لهُنّ ما يلزمهُنّ من الحاجات الجسميّة والنفسيّة، ويُعلّمُهُنّ أحكام الإسلام ومبادئه مُنذُ صِغَرِهِنّ، وبعد زواجِهِنّ كان النبي صلـ الله عليه وسلم يزورُهُنّ، ويُدخل السرورَ عَليهِنّ، وزار ذات مرةٍ ابنتهُ فاطمة ودعا لها ولزوجها، وكان يُفكِّرُ في بناته حتى في أصعبِ ظُروفه، فعند خُروجه لمعركة بدر كانت ابنتهُ رُقية مريضة، فأمر زوجها عُثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بالبقاء معها وعدم الخروج للمعركة، وبشّره بالأجر، وجعل له سهماً من الغنائم. وتتمثّل جوانب الرحمة في مُعاملةِ النبيّ لَهُنّ في الكثير من الصور كدعوته لَهُنّ إلى الإسلام بالحُسنى، وذلك عندما أمره الله "عزَّوجل" بتبليغ الدعوة لعشيرته وأقربائه، فقال لابنته فاطمة: (ويَا فَاطِمَةُ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي ما شِئْتِ مِن مَالِي، لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيئًا)،وكان النبيّ شديد الحرص والعناية بِهِنّ في أشدّ الأوقات، ويُحسن استقباله لَهُنّ، ويأْتَمِنهنّ على أسراره، ويُدخل السرور والفرح عليهِنّ، ويزوّجهنّ أبطالاً أتقياء، وأصحاب العقل الراجح، فقد زوّج ابنته زينب ـ رضي الله عنها ـ من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع، وزوّج رُقيّة من عُثمان بن عفان، وعندما تُوفّيت زوّجه من ابنته أم كلثوم، وزوّج فاطمة لعليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ كما أنه كان يأمُرُهُنّ بالحِجاب والسّتر في لِباسِهِنّ، لقوله ـتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)، ويحرص على حل المُشكلات التي تحصل بينَهُنّ وبين أزواجِهِنّ، ويُشارِكُهُنّ في عقيقة أبنائِهِنّ، فقد عقّ عن الحسن كبشاً، وعن أخيه الحُسين كبشاً، ووصل الاهتِمام بِهِنّ حتى بعد موتِهِنّ؛ كالاهتمام بالأمر بِغُسلِهِنّ، ووضع شيئاً من ثيابه مَعَهُنّ، وشُهود جنازتِهِنّ، ودفنِهِنّ، والحزن على فِراقِهِنَّ.

الصورة الثامنة:

إنسانيته ـ صل الله عليه وسلّم ـ مع الحيوان:
لم يُحرم الحيوان الأعجم من رحمة الله وإنسانيته فقد شكا الجمل إليه فأخذ حقّه من صاحبِه، وقصّ علينا قصة الرجل الذي سقى كلبًا فدخل الجنّة، وحذّرنا من إيذاء الحيوان، وذمّ المرأة التي حبست الهرّة فاستحقت النار، كما نهى عن أن يُتّخذ الحيوان مرمى، كما شدّد على خطورة ترويع الحيوان حتى عند الذبح الحلال المباح، فقال في حديثه المشهور الصحيح: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) حتى عند ذبح مباح تظهر إنسانية المسلم، والفائدة له لا للحيوان فالحيوان مذبوح مذبوح، لكنها الرحمة التي تصنع قلبا رقيقًا ونفسًا شفّافة.. وهو صل الله عليه وسلّم ـ الذي نادى على أصحابه يوم أن طاف حوله طائر كأنه يشكو شيئًا أو يبحث عن مفقود، فقال النبي لأصحابه: ردّوا عليها وليدها، إنها إنسانية الرسول ولاعجب فهو الذي قال (أدبني ربي فأحسن تأديبي).
كان للحيوان شأن عند العرب في وقت رسول الله صل الله عليه وسلم، فكان وسيلة ركوبهم في السفر والإقامة، وكانوا يستخدمونه في الحرث والزراعة، ويتسابقون عليه، ويستخدمونه في الحروب والصيد، وكانوا يسيؤون التعامل مع الحيوان، وانتشرت لديهم ممارسات قاسية تجاهه، فجاء رسول الله صل الله عليه وسلم فكان رحيمًا بالحيوان، أكدت ذلك سيرته العملية، وسعى لتعليم أصحابه الرفق في تعاملهم مع الحيوان، وتبدو مظاهر رحمة الرسول صل الله عليه وسلم بالحيوان في أمور عدة، منها:
أمره بالإحسان إليه والرفق به:
أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمته بالإحسان إلى الحيوان والرفق به، فقد ركبت زوجه عائشة ـ رضي الله عنها ـ بعيرًا فقست عليه، فوجهها صل الله عليه وسلم إلى الرفق بقوله: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنْزَع من شيء إلا شانه»([1]).
وقصَّ مُحَمّدٌ صل الله عليه وسلم على أمته قصة رجل أحسن إلى حيوان، فغفر الله له ذنبه، عن أبي هريرة أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي بطريق فاشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش. فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغني، فنزل البئر فملأ خُفَّهُ فأمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له».

حينها سأله أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ هذا السؤال: وإنّ لنا في البهائم لأجرًا؟ أي هل يمكن أن يُؤْجَر الإنسان على مجرد الإحسان إلى البهيمة فقال صل الله عليه وسلم: «في كل ذات كبد رطبة أجر»([2]).
الإحسان إلى الحيوان في السفر:
كان الحيوان يمثل وسيلة السفر لدى العرب آنذاك، لذا أكَّد مُحَمّدٌ صل الله عليه وسلم ألا يكون ذلك سببًا في إرهاقه والإساءة إليه، وأكَّد على من يركب الدابة في السفر أن يحسن إليها، ومن مظاهر ذلك الإحسان:
أنه علَّم أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ إذا نزلوا في السفر ألا ينشغلوا بالصلاة، حتى يُنْزِلُوا الرحالَ عن الدوابّ، فعن أنس بن مالك قال: (كنا إذا نزلنا منزلاً لا نسبح حتى تُحَلّ الرحال) ([3]).
ولأن الدابة كانت تتغذى من الطريق، فقد أمر صل الله عليه وسلم من يركبونها بأن يراعوا ذلك، فحين يسيرون في طريق خصب فلا يُسرعوا حتى تأخذ الدابة حقها من الأكل، وحين يسيرون في طريق مجدبة لا تجد فيها الدابة ما تأكله، فعليهم أن يسرعوا في المسير.
فعن أبي هريرة أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: (إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حقها، وإذا سافرتم في الجدب فأسرعوا السير) ([4]).

النهي عن إيذائه:

تنوعت صور الإيذاء والإساءة للحيوان لدى العرب، فنهى صل الله عليه وسلم عن تلك الصور والممارسات السيئة.
ونجد في سيرته صل الله عليه وسلم النهي العام عن الإساءة للحيوان ليشمل ذلك كل ما يستجد من صور الإساءة، كما نجد في سيرته النهي عن صور محددة كانت منتشرة لدى العرب آنذاك، ومن النهي العام عن إيذاء الحيوان نهيه صل الله عليه وسلم عن التمثيل به فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله (صل الله عليه وسلم يقول: «لعن الله من مَثَّلَ بالحيوان»([5]).
ومن الصور المحددة التي نهى عنها صل الله عليه وسلم
الوسم في الوجه، فعن جابر أن النبي صل الله عليه وسلم مرَّ عليه حمارا قد وُسِم في وجهه، فقال: «لعن الله الذي وسمه».
،ومنها أنهم كانوا يستخدمون الحيوان هدفًا حين يتعلمون الرماية، فناهم صل الله عليه وسلم عن ذلك فعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تتخذوا شيئًا فيه الروح غرضًا».([6])

ومنها أنهم كانوا في منتدياتهم وتجمعاتهم يجعلون ظهر الدابة منبرًا فيخطبون عليه، أو يتناشدون الشعر وهم على ظهرها، فنهاهم (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك. فعن أبي هريرة عن النبي صل الله عليه وسلم قال: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإن الله إنما سخرها لكم لتُبَلِّغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم»([7]).

ومرَّ صل الله عليه وسلم على رجل من الأنصار لديه بعير كان يُجِيعه ويثقل عليه في العمل، فنهاه صل الله عليه وسلم عن ذلك، وقال له: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟»([8]).

وفي موقف آخر يرى صل الله عليه وسلم آثار إهمال رعاية الحيوان فينهى الناسَ عن ذلك، فعن سهل ابن الحنظلية قال مرَّ رسول الله صل الله عليه وسلم ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة»([9]).

وكان مُحَمّدٌ صل الله عليه وسلم مع أصحابه، فرأى أحدهم طائرًا له فرخان فأخذهما، فنهاهم صل الله عليه وسلم عن ذلك. فعن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع رسول الله (صل الله عليه وسلم في سفرٍ، فانطلق لحاجته فرأينا حمرةً معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة، فجعلت تفرش فجاء النبي صل الله عليه وسلم فقال: «من فجع هذه بولدها؟ رُدُّوا ولدها إليها». ورأى قرية نملٍ قد حرقناها فقال: «من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»([10]).

الإحسان إليه عند الذبح:

لا تنتهي الرحمة بالحيوان لديه صلـ الله عليه وسلم عند الحياة فقط، بل يؤكد على رعاية ذلك حين ذبحه.

فيأمر صل الله عليه وسلم بأن يحسن الإنسان الذبح، فيختار السكين الحادة، ويريح الحيوان فعن شداد بن أوس قال: إثنتان حفظتهما عن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَته، فَلْيُرِح ذبيحته)([11]).

ومن صور الإحسان إلى الحيوان حين ذبحه ألا يرى الحيوان آلة الذبح، فعن سالم بن عبد الله عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله صل الله عليه وسلم أمر بحَدّ الشفار، وأن تُوَارى عن البهائم، وإذا ذبح أحدكم فَلْيُجْهِزْ([12]).

([1]) أخرجه مسلم (2594).

([2]) أخرجه البخاري (2363)، ومسلم (2244).

([3]) أخرجه أبو داود (2551).
([4]) أخرجه مسلم (1926).
([5]) أخرجه البخاري (5515)، ومسلم (2117).
([6]) أخرجه مسلم (1957).
([7]) أخرجه أبو داود (2567).
([8]) أخرجه أبو داود (2549).
([9]) أخرجه أبو داود (2548).
([10])أخرجه أبو داود (2675)
([11]) أخرجه مسلم (1955).
([12]) أخرجه أحمد (5830)، وابن ماجه (3072).

الصورة التاسعة:

رحمته بالأطفال
ومن رحمته صلـ الله عليه وسلم بالطفل كانت صور ومواقف الشفقة على الأطفال والصغار عند رسول الله ـ صلـ الله عليه وسلم ـ فى السيرة النبوية متعددة، فكثيرًا ما ذهب إلى الأسرة التي ترضع ابنه إبراهيم، حيث يأخذه في حجره طويلاً، ويقبله ويعطف عليه.
وعندما رأى الأقرع بن حابِس التميمي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقبل الحسن والحسين ـ رضي الله عنهماـ ويأخذهما في حضنه، قال: "إن لي عشرة من الولد، ما قبَّلتُ منهم أحدًا"، فنظر إليه رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ ثم قال: "من لا يَرْحم لا يُرحم".
وفي حديث آخر: "إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"، وجاء أعرابي إلى النبي ـ صل الله عليه وسلم ـ فقال: تقبّلون الصبيان؟! فما نقبّلهم. فقال النبي ـ صل الله عليه وسلم ـ : "أوَ أملك لك إن نَزَع الله من قلبك الرحمة" الإسلام دين الرحمة فالرحمة فى السيرة النبوية والقرآن الكريم لا تقتصر على الإنسان، ولكن لكل المخلوقات.. فأرسله الله تعالى رحمة للعالمين.
يقول الرسول، صل الله عليه وسلم، في حديث آخر: "أنا محمد وأحمد والمقفَّى، وأنا الحاشر، ونبي التوبة ونبي الرحمة"، وباب التوبة مفتوح حتى يوم القيامة.

ومن مواقف الرسول كان إذا رأى طفلاً أو صبيًّا يبكي جلس وبكى معه إذ يشعر في وجدانه بألم الأم وعذابها.
ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ نجد نموذج هذه الرحمة، وهذه الشفقة التي لهجت بها الألسن إذ يقول رسول الله ـ صل الله عليه وسلم: "إني لأدخل الصلاة أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وَجْد أمه به".
لقد جاء القرآن الكريم واصفاً رسالة النبي محمد صلـ الله عليه وسلم : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
من مقتضيات الحكمة الإلهية تجاه البشر أن يُعيّن اللهُ تعالى الإنسانَ في مسيرته المليئة بالمنعطفات لبلوغ هدفه التكاملي الذي خُلق من أجله، وإلّا انتَقض الهدف من الخلقة، وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه بغير الوحي الإلهي والكتب السماوية والتعاليم السليمة من كل خطأ وسهو، ولا يمكن لربوبية الله تعالى ذاتِ الرحمة العامة والخاصة أن تَترك الإنسان وحيداً في طريق سعادته المليئة بمختلف الموانع والعقبات والمتاهات، فلا يرسل إليه قائداً ومرشداً يَحمِل التعاليم الشاملة للأخذ بيده وتوجيهه، وعليه فإنّ حكمته ورحمته توجبان إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية، وفي هذا السياق كانت الرسالة الخاتمة والبعثة الشريفة لنبي الرحمة والهدى محمد بنِ عبد الله صلى الله عليه وسلم، والتي كان عنوانها العام ألا وهو هدف البعثة الشريفة وهو "الرحمة لكل العالَمين"،كما أنّ الرحمة الإلهية شاملة لجميع بني البشر، المؤمن منهم وغير المؤمن، كما هو المدلول الواضح لقوله تعالى: "الرحمن الرحيم" فكذلك رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ هو رحمة للعالمين بمقتضى الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. فهو ليس رحمة لأهل مكّة أو أهل المدينة فقط، وليس رحمة للمسلمين الذين كانوا معه، ولا للمسلمين عامة، وإنّما هو بنصّ الآية القرآنية رحمةٌ للعالمين جميعاً، في الدنيا والآخرة.
وفي بعض أوصافه أنه (صل الله عليه وآله) أمان لأهل الأرض من العذاب، فقد ورد في النهج الشريف أنّه قال: "كان في الأرض أمانان من عذاب الله، وقد رُفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسّكوا به، أمّا الأمان الذي رُفع فهو رسول الله ـ صلـ الله عليه وسلم ـ ثم يأتِ الإستغفار أمناً تابعاً مُتتالياً
قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فهو ـ صلـ الله عليه وسلم ـ قد اختُصَّ بهذه الكرامة أنّه أمان لأهل الأرض. فرَفع اللهُ سبحانه العذاب، أي عذاب الاستئصال عن أمّة النبي ـ صلـ الله عليه وآله وسلم ـ ببركة وجوده، بينما كانت الأمم السابقة مهدّدة ومعذّبة بهذا العذاب، وقد حدّثنا القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته عن العذاب الذي حلّ بأقوامٍ وأممٍ سابقين نتيجة عنادِهم وكفرهم وطغيانهم، وكيف أنه سبحانه وتعالى أفناهم وأبادهم مِثْلَ قوم صالح وقوم ثمود، وكيف عذّب الآخرين بمسخهم قردةً وخنازيرَ وغيرَ ذلك.

رحمة الشفاعة

إنّ الإنسان المؤمن يطمع ويتطلّع إلى مظاهر الرحمة النبوية ليس في عالم الدنيا فحسب، بل نظره الأساس إلى عالم الآخرة حيث الحاجة الماسّة إلى هذه الرحمة.
وفي ذلك اليوم الموعود المشهود تُظلِّل المؤمنينَ هذه الرحمةُ النبوية الواسعة، والتي تتجلّى في شفاعته ـ صلى الله عليه وسلّم ـ
وقد سُئِل الإمام الصادق (عليه السلام) عن شفاعة النبي ـ صلـ الله عليه وسلم يوم القيامة، فقال (عليه السلام): "يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون: اِنطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربه، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربّك، فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى مَن يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى مَن يليه حتى ينتهون إلى عيسى فيقول: عليكم بـ مُحَمّدٍ رسول الله، فيَعرِضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنة، ويستقبل بابَ الرحمن ويخرّ ساجداً، فيمكث ما شاء، فيقول الله "عزّ وجلّ": إرفع رأسك واشفع تُشَفَّعْ وسَلْ تُعطَ، وذلك قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)

مظاهر الرحمة النبوية

كان رسول الله صلـ الله عليه وآله في جميع أقواله وأفعاله، ومن سيرته العطرة يمثّل الرحمة ويجسّدها قولاً وعملاً، ولا يمكن لهذه الكلمات أن تختصر لنا مظاهر الرحمة النبوية في جميع جوانبها، ولكن كنموذجٍ ومثالٍ على ذلك، فإنّ صلواتِ الله وسلامَه دعا إلى الاهتمام بشؤون الناس ولا سيماً المحتاجين، فقال صلـ الله عليه وآله وسلم: "مَن أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم"، ودعا إلى احترام الإنسان وعدم إهانته، فقال صلـ الله عليه وآله وسلم: "قال الله عزّ وجلّ: مَن أهان لي ولياً، فقد أرصد لمحاربتي، وما تقرّب إليّ عبد بشيء أحبَّ إليّ ممّا افترضتُ عليه، وإنّه لَيتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله كتردّدي عن موت عبدي المؤمن، يَكره الموتَ وأنا أكره مساءَته"
وكذا رواية : (أَكْرَهُ مَمَاتَهُ)، لا تخالفها، بل توافقها في الجملة، لأن مرد الروايات واحد ، وهو أن المعنى: أن العبد المؤمن يكره الموت ، والرب تعالى يكره المساءة التي تحصل له بالموت، والتي تحصل له بغيره، ولكنه لا بد له من الموت، لما يترتب عليه من الخير والفضل والحكم العظيمة للرب تعالى، فهو سبحانه يكره الموت من وجه، لأنه يسوء عبده المؤمن، وهو يكرهه، ويحبه من وجه، وهو أنه يقلبه إليه في دار الخلد في جنات النعيم ، وهذه حقيقة التردد الوارد في الحديث .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :
" وَالرَّبُّ يَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَ عَبْدَهُ وَمَحْبُوبَهُ، فَلَزِمَ مِنْ هَذَا أَنْ يَكْرَهَ الْمَوْتَ، لِيَزْدَادَ مِنْ محاب مَحْبُوبِهِ، وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ قَضَى بِالْمَوْتِ، فَكُلُّ مَا قَضَى بِهِ فَهُوَ يُرِيدُهُ، وَلَا بُدَّ مِنْهُ، فَالرَّبُّ مُرِيدٌ لِمَوْتِهِ لِمَا سَبَقَ بِهِ قَضَاؤُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَارِهٌ لِمسَاءَةِ عَبْدِهِ، وَهِيَ الْمسَاءَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُ بِالْمَوْتِ، فَصَارَ الْمَوْتُ مُرَادًا لِلْحَقِّ مِنْ وَجْهٍ، مَكْرُوهًا لَهُ مِنْ وَجْهٍ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّرَدُّدِ، وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ مُرَادًا مِنْ وَجْهٍ مَكْرُوهًا مِنْ وَجْهٍ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَرَجُّحِ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ كَمَا تَرَجَّحَ إرَادَةُ الْمَوْتِ؛ لَكِنْ مَعَ وُجُودِ كَرَاهَةِ مسَاءَةِ عَبْدِهِ، وَلَيْسَ إرَادَتُهُ لِمَوْتِ الْمُؤْمِنِ ، الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَكْرَهُ مسَاءَتَهُ ، كَإِرَادَتِهِ لِمَوْتِ الْكَافِرِ الَّذِي يُبْغِضُهُ وَيُرِيدُ مُسَاءَتَهُ ".

إن الحبيب رسول الله صلـ الله عليه وسلَّم هو قدوتنا في جميع الأمور، وقد امتدحه ربه"عزَّ وجل" في كتابه الكريم فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم آيه 4
وأعلن النبي صلـ الله عليه وسلم أن رسالته جاءت لبناء الصرح الأخلاقي للإنسانية وتكميله، فقال: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وقد شكلت شخصية محمد صلـ الله عليه وسلم الإنسان الذي اكتملت فيه كل الأخلاق الحميدة، وانتفت منه كل الأخلاق الذميمة، ولذلك خاطبنا الله سبحانه وتعالى بقوله: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الأحزاب الآيه 21 والمطّلع على سيرته صلـ الله عليه وسلم يدرك أنها كانت حقيقة تاريخية قلَّمَا تجد الإنسانية غيره قدوة حسنة تقتدي بها، وهي تتلمس طريقها نحو عالم أكمل وأمثل، وحياة كريمة، ومن الطبيعي ألا تجد الإنسانية مثلها الأعلى في شخصيات وهمية، وإلا فهي تضلُّ طريقها المستقيم، وتسير مقتدية بالخيال والأوهام، لذا كان حقاً أن نتخذ من سيرته نموذجاً لسلوكياتن، أوتكشف حياة النبي محمد صلـ الله عليه وسلم أمامنا المثل الأعلى في جميع أحوال الحياة في السلم والحرب في الحياة الزوجية ،مع الأهل والأصحاب بل وفي كل أوجه الحياة. فـ "مُحَمَّدٌ" صل الله عليه وسلم هو المثل الأعلي، ولن تجد الإنسانية دونه مثلاً حياً لها، فسيرته صلـ الله عليه وسلم حقيقة تاريخية، يُصَدِّقُهَا التاريخ الصحيح ولا يتنكر لها، وهي سيرة جامعة محيطة بجميع أطوار الحياة وأحوالها وشؤونها،
كما أنها سيرة متسلسلة لا تنقص شيئاً من حلقات الحياة، وهي أيضاً سيرة عملية قابلة للتطبيق، ذلك أن ما كان يدعو إليه "مُحَمّدٌ "صلـ الله عليه وسلم في القرآن والحديث كان يحققه بسيرته أولاً، وهذا ما شهد به معاصروه، إذ قالت أمنا (عائشة) ـ رضي الله عنها ـ وقد سُئلتْ عن أخلاقهِ صلـ الله عليه وسلم قالت: "كان خُلقه القرآن".

،كان "صلـ الله عليه وسلم" في حروبه متمثلاً بإنسانيته العظيمة فكان يوصيهم بعدم قتل الأطفال والنساء والشيوخ: (لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً
ولا امرأة) .. كانت شخصية النبي صلـ الله عليه وسلم مشرقة في كل الجوانب وبها نواح مختلفة من العظمة وكان في كل جانب المثل الأعلى والنموذج الفريد، لم يكن النبي صلـ الله عليه وسلم سياسيا مُحَنَّكَا فقط ولا قائداً عسكريا فَذَّاً فحسب، ولا مُصْلِحَاً اجتماعيا فقط، ولا رجلا بلغت فيه الإنسانية ذراها فحسب، بل وتجسدت فيه كل معالم الإنسان الكامل،
بل كان يفيضُ رقةً، تتفجر منه العواطف النبيلة والمشاعر الغامرة، حتى شملت بفيضها وعمت بخيرها كل من حوله من أحبابه وأصحابه وأهله وأولاده وأعدائه وخصومه، ولم تقف عند هذا الحد بل كان للحيوان منه نصيب موفور.

إنسانيته مع أصحابه

كان "صلـ الله عليه وسلم"يحب أصحابه ويبدؤهم بالسلام ويكنيهم ويدعوهم بأحب الأسماء إليهم، بل كان يقف لخدمتهم ويجهد نفسه لراحتهم، يقول أنس بن مالك: كان رسول الله صلـ الله عليه وسلم يسقي أصحابه، فقالوا: يا رسول الله لو شربت؟ قال: ساقي القومي آخرهم شربا.
وكان أشد ما يكرهه منهم أن ينزلوه منزلة كسرى وقيصر فيبالغون في تعظيمه ويشتطون في تقديره، فقد (دخل رجل على النبي صلـ الله عليه وسلم فأصابته رعدة من هيبته فقال: هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد).

ولاشك أن خُلق ـ التواضع ـ من الأخلاق الفاضلة الكريمة ، والشيم العظيمة التي حثَّ عليها الإسلام ورغَّبَ فيها، وتمثله رسول الله صلـ الله عليه وسلم منهجاً عملياً في حياته، ومن أهم ملامح هذا المنهج والذي أقرَّ لرسول الله صلـ الله عليه وسلم تواضعه: كان صلـ الله عليه وسلم مع علو قدره، ورفعة منصبه أشد الناس تواضعاً، وألينهم جانباً، وحسبك دليلاً على هذا أن الله سبحانه وتعالي خيَّره بين أن يكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، فأختار أن يكون نبياً عبداً صلوات الله وسلامه عليه.

وكان صلـ الله عليه وسلم يمنع أصحابه من القيام له، وما ذلك إلا لشدة تواضعه فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : "خرج علينا رسول الله صلـ الله عليه وسلم متكئاً على عصاً ، فقمنا له ، قال لا تقوموا كما يقوم الأعاجم ، يعظِّم بعضهم بعضاً) رواهأحمد وأبو داود وهذا خلاف ما يفعله بعض المتكبرين من حبهم لتعظيم الناس لهم ، وغضبهم عليهم إذا لم يقوموا لهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام (من أحب أن يتمثَّل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار) رواه أحمد والترمذي و أبو داوود.

وخلق التواضع كان سمةً ملازمةً له صلـ الله عليه وسلم في حياته كلها، في جلوسه ، وفي ركوبه ، وفي أكله ، وفي شأنه كله ، ففي أكله وجلوسه نجده يقول (إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد) رواه ابن حبان ، وفي ركوبه يركب ما يركب عامة الناس، فركب صلـ الله عليه وسلم البعير و الحمار والبغلة والفرس، قال أنس رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف) رواه الترمذي.
وفي "سنن" ابن ماجه عن قيس بن أبي حازم : أن رجلاً أتي رسول الله صلـ الله عليه وسلم، فقام بين يديه فأخذته رعدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هوّن عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد) ـ والقديد هو اللحم المجفف ـ وهذا من تمام تواضعه صلى الله عليه وسلم حيث بين له أنه ليس بملك، وذكر له ما كانت تأكله أمه لبيان أنه رجل منهم ، وليس بمتجبر يُخاف منه.
كان صلوات الله عليه وتسليماته يسأل عن أخبار الصحابة ويتفقد أحوالهم، ويدعو لغائبهم، ويزور مريضهم ويشيع جنائزهم، ويصلي عليهم، فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلـ الغداة أقبل عليهم بوجهه فقال: هل فيكم مريض فأعوده؟ فإن قالوا: لا، قال: هل فيكم جنازة أتبعها؟ فإن قالوا: لا، قال: من رأى منكم رؤيا فليقصُّهَا علينا).
وقد بلغ حبه لهم وشفقته عليهم أنه يرق لحالهم فيحزن قلبه وتدمع عينه وتتفطر نفسه، ففي رواية ابن عمر رضي الله عنهما قال: (اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي صلـ الله عليه وسلم يعوده مع عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود، فلما دخل عليه وجده في غاشية أهله قال: قد قضي أي مات قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي صلـ الله عليه وسلم فلما رأى القوم بكاء النبي بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وأشار بيده إلى لسانه).

لم تكن شفقته بأصحابه ورقته بهم وحبه الغامر لهم يمنعه من تصحيح الخطأ وإقامة الحق وتنفيذ القصاص العادل معهم، نعم إنه رجل توازن يضبط مشاعره ويلجم عواطفه بلجام العقل والحق.
عندما أُخبر رسول الله بوفاة عثمان بن مظعون أسرع إلى بيته فقد كان عثمان رضي الله عنه من الصحابة المقربين إلى قلبه فبكى النبي صلـ الله عليه وسلم عليه بكاء كثيرا، ولكن عندما قالت زوجة عثمان: رحمة الله عليك أبا السائب لقد أكرمك الله، فقال النبي: وما يدريك أن الله أكرمه؟ والله ما أدري وأنا رسول الله ما يُفعل بي).
فالدموع التي سكبها على عثمان ما كانت لتحول بينه وبين تصحيح خطأ أو على الأقل مبالغ فيه، فالوفاء شيء والحق شيء آخر، وكان هذا المنهج المتوازن لازما للنبي صلـ الله عليه وسلم حتى في سياسته لأهل بيته، نعم كان يفيض حبا لزوجاته، وما كان ليرضى أن يكون الحب لإحداهن مُبيحا للاعتداء والتجاوز، تقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ (ما رأيت صانعة طعام مثل صفية بنت حيي أهدت إلى النبي إناء فيه طعام وهو عندي ـ تعني النبي (فما ملكت نفسي أن كسرته فقلت: يا رسول الله ما كفارته؟ قال إناء بإناء وطعام بطعام).

مع أبنائه

كان صلـ الله عليه وسلم يخفض لهم جناحه، ويداعبهم ويلاطفهم ويقبلهم، ويحتضنهم ويصبر عليهم، ويكره أن يقطع عليهم مرحهم وسعادتهم حتى ولو كان بين يدي الله تعالى، وقد ثبت عنه صلـ الله عليه وسلم: (أن الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ دخل عليه وهو يصلي وقد سجد، فركب ظهره، فأبطأ في سجوده حتى نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض أصحابه: يا رسول الله: قد أطلت سجودك، فقال: إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قَبَّلَ النبيُّ الحسين بن علي وعنده الأقرع بن حابس فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلْتُ منهم أحداً فنظر النبي إليه فقال: (من لا يَرحم لا يُرحم)، وجاء أعرابي إلى النبي صلـ الله عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم فقال النبي صلـ الله عليه وسلم: أو أملك لك إن نزع الله من قلبك الرحمة)

مع أعدائه

من معالم إنسانيته الرائعة أنه رغم خلافه مع قومه وظلمهم له، وتعديهم عليه، وتآمرهم بالقتل والإبعاد والتحريض إلا أنه لم يضق صدره بهم ذرعا ودعا عليهم، بل كان يفتح يديه، ويبتهل إلى ربه قائلا: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)، وكاد أن يهلك نفسه من الحسرة والألم وكثرة الفكر، وطول الهَمّ، وبذل الجهد عله أن ينقذ حياتهم من الكفر وآخرتهم من النار، والقرآن يشير إلى ذلك بقوله: (فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)،

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: لما كَذَّبَ القوم رسول الله صلـ الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك، وقد أُمِرَ مَلَكُ الجبالِ لتأمرهُ بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال: مرني بما شئت: أن أطبق عليهم الأخشبين فقال صلـ الله عليه وسلم: (بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا) فسلاماً وصلاةً عليك يارسول الله ما رأت الدنيا إنسانا يملك أدوات القوة، وأسباب العقوبة، وموجبات الأخذ والتنكيل ثم يترفع عن الثأر ويعلو فوق حظوظ النفس مثل أبا القاسم رسول الله صلـ الله عليه وسلم كان يحلم على أعدائه، ويصبر على من أساء إليه، بل كان تزيده الإساءة إحسانا وعفوا وكرما، جاء زيد بن سعنة اليهودي يتقاضى النبي صلـ الله عليه وسلم دينا كان عليه فجذب ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له، ثم قال: إنكم يا بني المطلب مطل، فانتهره عمر، وشدد له في القول، والنبي صلـ الله عليه وسلم يبتسم ثم قال: انا وهو كنا إلى غير ذلك أحوج منك يا عمر تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن القضاء ثم قال له: لقد بقي من أجله ثلاث، ثم أمر عمر أن يقضيه ماله، ويزيده عشرين لما روعه، فكان ذلك سبب إسلام زيد رضي الله عنه.

إنسانيته بالحيوان

كان صلـ الله عليه وسلم يعتبر الحيوان كيانا معتبرا ذا روح يحس بالجوع ويشعر بالعطش، ويتألم بالمرض والتعب، ويدركه ما يدرك الإنسان من أعراض الجسد، لذا رأيناه صلـ الله عليه وسلم تتألم نفسه ويرق قلبه لحيوان ألمَّ به الجوع ونال منه الجهد، فعن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: (مر رسول الله صلـ الله عليه وسلم على بعير قد لصق ظهره ببطنه، فقال: (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة)

ما أعظمك رسول الله وما أعظم إنسانيته رغم مسؤولياته الجسام ومهامه العظام إلا أنه لم ينشغل عن مراقبة ما يحدث لحيوان من إساءة بالغة، وإهمال من ذويه، فنصح بالإحسان والرعاية، لقد وسعت شفقته فراخ طائر وأبي أن يُفرّق بينهم، يقول عبدالله بن عمر: كنا مع النبي صلـ الله عليه وسلم في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها).

في دعوته إلى مكارم الأخلاق

قال رسول الله صلـ الله عليه وسلم: (أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار).

ذلك الحديث العظيم يعني أن جوهر الإسلام الحنيف ولبابه مكارم الأخلاق والسلوك القويم والعمل الطيب المثمر، فدين المرء أخلاقه وأعماله ولا دين ولا أيمان لمن لا أخلاق له.

قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال أيضا:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه   فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ومن إنسانية الرسول حبه للخدم

كان رسول الله صلـ الله عليه وسلم يحب الخدم والعمال، ويعاملهم معاملة طيبة، فكان يأكل مع الخدم ويوصي بهم خيرا وكان يقول: (هم إخوانكم وخولكم، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم).
وهذا هو أنس بن مالك وقد خدم رسول الله صلـ الله عليه وسلم عشر سنوات قال: (كان رسول الله صلـ الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقا فأرسلني يوما لحاجه فخرجت، حتى أمر على الصبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله صلـ الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه، وهو يضحك، فقال: يا أنس، اذهب حيث أمرتك، فقلت: نعم.
أنا ذاهب يا رسول الله، فقال أنس: والله لقد خدمت النبي صلـ الله عليه وسلم عشر سنين، ما علمته قال لشيء: لم فعلت كذا وكذا؟ أو لشيء تركته، هلا فعلت كذا وكذا.

في الحروب

كان صلـ الله عليه وسلم في حروبه متمثلا بإنسانيته العظيمة فكان يوصيهم بعدم قتل الأطفال والنساء والشيوخ: (لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة).
وقال صلـ الله عليه وسلم أيضا: (اغزوا في سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع).
وبالنظر إلى البلدان التي دخلها العرب المسلمون فاتحين هداة مصلحين كانت الرحمة والعدالة والرفق والإنسانية تصحبهم أينما حلوا أو ساروا. فلم يستعبدوا أحدا منهم ولم ينهبوا خيرات بلدهم ولم يسفكوا دماءهم لانهم كانوا دعاة إنسانية ورحمةٍ.
عندما دخل رسول الله صلـ الله عليه وسلم مكّة فاتحاً، وبعد أن صلـ في الكعبة، خطب أمام قريش وقد اجتمعوا في البيت. وكان ممّا قاله لهم: " يا معْشَرَ قريش، ما ترون أنّي فاعل بكم؟ " قالوا: خيرا. أخٌ كريم وابن أخ كريم. قال صلـ الله عليه وسلم: " فإنّي أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: (لا تثريب عليكم اليوم)

اذهبوا فأنتم الطلقاء ".
ثمّ جلس رسول الله صلـ الله عليه وسلم في المسجد ... فقال صلـ الله عليه وسلم: " أين عثمان بن طلحة؟ ". فدُعي له. فقال: " هاك مفتاحك يا عثمان (مفتاح الكعبة)، اليومُ يومُ بِرٍّ ووَفَاء ". صلـ الله عليه وسلم.
الأنصار (رضي الله عنهم) وفي نفوسهم شيئا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذلك بعد غزوة الطائف، حين أعطى صلـ الله عليه وسلم الناسَ ـ خاصة المؤلّفة قلوبهم ـ عطاء من لا يخاف الفقر. وكانت الأعطيات في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء ... حتى قال قائلهم: لقيَ واللهِ رسولُ الله قومَه. وصوّرت لهم أنفسُهم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد أدركته محبّة قومه وبني وطنه، فنسي في جنبهم الأنصار!، ووصل الخبر إلى النبيّ صلـ الله عليه وسلم. فجمعهم وحدَهم، وخطب صلـ الله عليه وسلم فيهم خطبة رائعة ضَمَّنها أدق خفقات قلبه وألطف إحساساته، خاطبت المشاعر فهزّتها، ونفضت عنها ما عَلِقَ بها من وساوس، وداعبت العواطف والعقول والأفئدة ... خطبة مُحِبّ رؤوف رحيم، جبرت منهم القلوب، وطيبت الخواطر، وهدّأت النفوس، ومما جاء في خطبته صلـ الله عليه وسلم: " أوَجَدْتُم يا معشرَ الأنصار في أنفسكم في لَعَاعَة من الدنيا تألّفتُ بها قوما لِيُسْلِموا، ووَكَلْتُكم إلى إسلامكم؟! ألا ترضوْن يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله صلـ الله عليه وسلم إلى رحالكم؟ فوالذي نفس مُحَمَّدٌ بيده، لولا الهجرة لكنتُ امرأ من الأنصار، ولو سَلَكَ الناسُ شِعْبا، وسَلَكَت الأنصارُ شِعبا، لسلكتُ شِعْبَ الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار ".
فارتفعت أصواتهم بالبكاء فرحا بنبيّهم صلـ الله عليه وسلم، وابتهاجا بقسمتهم ونصيبهم، وبكي القوم حتّى أَخْضَلُوا لِحَاهم، وقالوا: رضينا برسول الله صلـ الله عليه وسلم قَسْمَا وحظّا.
وهذا يُبَيِّن فضل الأنصار رضي الله عنهم، ومدى محبّة النبيّ صلـ الله عليه وسلم لهم.

الجوانب الإنسانية في حياة خير البرية صلـ الله عليه وسلم

نقفُ مع الجوانب الإنسانية في حياة خير البرية صلـ الله عليه وسلم، لنشاهد إنسانيةَ خيرِ إنسان وطئ الثرى، وخير إنسان علَّم الإنسانية القِيَم والأخلاق الإنسانية النابعة عن إنسانٍ وعَى الحياة وبصَّرَهُ بها ربَّهُ سبحانه وتعالى، فكان صلـ الله عليه وسلم هو الإنسانَ الكامل في إنسانيته، كاملٌ في شريعته إذ جعلها تلائم بني الإنسان كل الإنسان كاملٌ في إنسانيته حين يتعامل مع زوجاته وأطفاله، كاملٌ في إنسانيته مع نفسه ومع مشاعره، كاملٌ في إنسانيته حتي مع أعدائه، ولمَ لا وهو رسول الإنسانية، الذي أعطى الإنسانَ قدره، ورفع من شأنه وكرامته.

إنسانيته صلـ الله عليه وسلم في التشريع لأمته:

إن المتأمل في التشريعات التي جاءت على لسان خيرِ الكائنات صلـ الله عليه وسلم، لَيلمُسُ فيها الجانب الإنساني الذي يقدر إنسانية المسلم، ويعرف قدرته وطاقته، لذا جاءت التشريعات تحمل المعنى الإنساني في اليسر والسهولة، والرفق والرحمة، وإليكم بيان ذلك:

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ النساء آيه 28

قال ابن كثير: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾؛ أي: في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم؛ ولهذا أباح الإماءَ بشروط كما قال مجاهد وغيره.

﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه، وضعف عزمه وهمته

قال الطبري: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ أن يُيسر عليكم

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ الحج آيه78

وعن عائشة عن النبي صلـ الله عليه وسلم: دخل عليها وعندها فلانة - لامرأةٍ - فذكرت من صلاتها، فقال: ((مه، عليكم بما تُطيقون، فواللهِ لا يملُّ الله عز وجل حتى تملُّوا، إن أحبَّ الدين إلى الله ما داوم عليه صاحبُه))

عن أنس عن النبي صلـ الله عليه وسلم قال: ((يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفروا))، وفي رواية: ((وسكِّنوا ولا تنفروا))

وتتجلَّى إنسانيته في اختياره الأيسر والأسهل ما لم يكن إثمًا .. فعن عائشة قالت: ما خُيِّر رسول الله صلـ الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسولُ الله صلـ الله عليه وسلم لنفسه في أمر يُنتهك منه، إلا أن تُنتهك لله عز وجل حرمة، فينتقم لله عز وجل"

الواقع التطبيقي

وإنه لجدير بالذكر أنه صلـ الله عليه وسلم قَدْ أرسي لأمَّته مبدأ اليسر والسهولة الذي يتماشى مع إنسانية المسلم، فقد أمر أمَّته ألا تتكلف من العمل إلا ما تُطيق؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله صلـ الله عليه وسلم المسجد، فإذا حبلٌ ممدود بين الساريتينِ، فقال: ((ما هذا الحبل؟))، قالوا: هذا حبلٌ لزينبَ، فإذا فَتَرَتْ تعلَّقت، فقال النبي صلـ الله عليه وسلم: ((لا، حُلُّوه ليُصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعُدْ))

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي صلـ الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلـ الله عليه وسلم، فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلـ الله عليه وسلم، قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أما أنا، فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أُفطِر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله صلـ الله عليه وسلم إليهم، فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أمَا والله، إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطِر، وأُصلِّي وأرقد، وأتزوج النساء، فمَن رغِب عن سنتي فليس مني)) أخرجه البخاري ومسلم

الواقع التطبيقي في حياة الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم

فقد كان النبي صلـ الله عليه وسلم يُظهِر حبه لزوجاته، فتجده عند الشرب والأكل يتحبَّب إليهن ويُظهِر حبه لهن، فيشرب من موضعِ فِي إحداهن، كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنتُ أشربُ من الإناء وأنا حائض، ثم أُنَاوِلُه النبيَّ صلـ الله عليه وسلم، فيضع فَاهُ على موضع فِيَّ، وكان صلـ الله عليه وسلم يخرج مع إحداهن ليلًا للتنزُّه والحديث، وهذا أمر يجلب المحبة والمودة بين الزوجين، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلـ الله عليه وسلم إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعةُ على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعًا، وكان رسول الله صلـ الله عليه وسلم إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدَّث معها، وكان صلـ الله عليه وسلم يسامر زوجاته ويحادثهن ويضحك من كلامهن، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ لو نزلتَ واديًا وفيه شجرة أُكِل منها، ووجدتَ شجرًا لم يُؤكَل منها، في أيِّها كنت تُرتِعُ بعيرك؟ قال: ((في التي لم يُرْتعْ فيها)) تعني أن رسول الله صلـ الله عليه وسلم لم يتزوَّج بكرًا غيرها أخرجه البخاري..

كما أنه صلـ الله عليه وسلم كان في خدمة أهله وفي ذلك اسمي معاني الرحمة والإنسانية
عن الأسود قال: قلت لعائشة: ما كان رسول الله صل الله عليه وسلم يصنع في أهله؟
قالت: كان في مهنةِ أهله، فإذا حضرتِ الصلاة خرج إلى الصلاة..
وكان صلى الله عليه وسلم يعرف مشاعر زوجاته نحوَه:
عن عائشة رضي الله عنها: قالت: قال لي رسولُ الله صل الله عليه وسلم: ((إني لأعلمُ إذا كُنتِ عني راضية، وإذا كنتِ عَليَّ غَضْبَى))، قالت: فقلتُ: ومن أيْنَ تَعْرِفُ ذلك؟! فقال: ((أمَّا إذا كنتِ راضية، فَإنَّكِ تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنتِ غَضْبى، قلتِ: لا وربِّ إبراهيم))، قالت: قُلتُ: أجَل والله يا رسولَ الله ما أهجرُ إلا اسمكَ

إنسانيته صلى الله عليه وسلم في مشاعره:

أما الجانب الوجداني والمشاعر الإنسانية، فقد اتَّصف بها خير البرية صلـ الله عليه وسلم، فقد كان يفرح ويُظهِر مشاعر الفرح عند المسرَّات وعند المواقف المفرحة، وكذا يظهر مشاعر الحزن والأسى والبكاء عند الآلام.

فرحه بالتوبة على أصحابه

ها هو وجهه الكريم صلـ الله عليه وسلم يستنير مِن الفرح والسرور، عندما يتوب الله تعالى على الثلاثة المخلَّفين، فرح صلـ الله عليه وسلم بتوبة كعبِ بن مالك رضي الله عنه فرحًا شديدًا، حكاه كعب فقال: فلما سلَّمتُ على رسول الله صلـ الله عليه وسلم وهو يبرُقُ وجهُه من السرور، وكان رسول الله صلـ الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهُه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه رواه الشيخان..

ضحك النبي صلى الله عليه وسلم مع رجلٍ أفطر في رمضان:

لم يكن من هَدْيه العبوس والتكشير، وإنما كان صلـ الله عليه وسلم بسَّامًا، فعن أبي هريرة أن رجلًا أفطر في شهر رمضان، فأمره رسول الله صلـ الله عليه وسلم بعتقِ رقبةٍ، أو صيام شهرينِ متتابعينِ، أو إطعام ستينَ مسكينًا، فقال: إني لا أجد، فأُتِيَ رسولَ الله صلـ الله عليه وسلم بعرقِ تمرٍ، فقال: ((خُذ هذا فتصدَّق به))، فقال: يا رسول الله، ما أحد أحوج مني، فضحِكَ رسول الله صلـ الله عليه وسلم حتى بدت ثناياه، ثم قال: ((كُلْه))

مشاعر النبي صلـ الله عليه وسلم عند الفراق والحزن

أما عن مشاعره الرقيقة الرقراقة عند الحزن، فقد كانت تدمع عيناه، ويبكي لفراق الأهل والأصحاب بكاءَ رحمةٍ ورفق، لا بكاء ضجر وتسخُّط.
لما مات ابنه إبراهيم دمعتْ عيناه، وبكى رحمةً له عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلـ الله عليه وسلم على أبي سيفٍ القَيْنِ، فأخذ رسول الله صلـ الله عليه وسلم إبراهيم فقبَّله وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيمُ يجودُ بنفسه، فجعلتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: ((يا بن عوف، إنها رحمة))، ثم أتبعها بأخرى، فقال صلـ الله عليه وسلم: ((إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون))

إنسانيته في تعامله مع أطفاله وأطفال المسلمين

لقد ظهرت أَسْمَى معالم الإنسانية في معاملته صلـ الله عليه وسلم للأطفال، فقد كان صلـ الله عليه وسلم يخفض لهم جناحَه، ويفهمُ طبيعتهم السِّنِّيَّة، فيداعبهم، ويلاطفهم، ويُقَبِّلهم، ويحتضنهم، ويصبر عليهم، ويكره أن يقطع عليهم مرحَهم وسعادتهم، حتى ولو كان بين يدي الله تعالى.
عن عبدالله بن شداد، عن أبيه قال: دُعي رسول الله صلـ الله عليه وسلم لصلاةٍ، فخرج وهو حاملٌ حسنًا أو حسينًا، فوضعه إلى جنبه، فسجد بين ظهرانَي صلاته سجدةً أطال فيها، قال: إني قد رفعت رأسي من بين الناس، فإذا الغلامُ على ظهرِ رسول الله صلـ الله عليه وسلم، فأعدتُ رأسي فسجدتُ، فلما سلَّم رسول الله صلـ الله عليه وسلم، قال له القوم: يا رسول الله، سجدتَ في صلاتك هذه سجدةً ما كنت تسجدُها، أفكان يُوحَى إليك؟ قال: ((لا، ولكنَّ ابنِي ارتَحَلني، فكرِهتُ أن أُعجِّلَه حتى يقضي حاجته)) إنه الرحمة المُهداة صلـ الله عليه وسلّم

إنسانيته صلـ الله عليه وسلم في قيامه لجنازة يهودي

ومن روائع المواقف الإنسانية موقفُه صلـ الله عليه وسلم لما مرَّت عليه جنازة رجل يهودي، فعن قيس بن سعد، وسهل بن حنيف، كانا بالقادسية، فمرَّت بهما جنازة، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض فقالا: إن رسول الله صلـ الله عليه وسلم مرَّت به جنازة فقام، فقيل: إنه يهودي؟! فقال: ((أليسَتْ نفسًا؟)) مسلم

إنسانية الرسول صل الله عليه وسلم في حروبه

ولنا هنا وقفة نقف مع إنسانيتة صلـ الله عليه وسلم مع خصومه وأعدائه في حروبه إن المتأمل للحروب التي خاضها رسول الله صلـ الله عليه وسلم، يجد أنها لم تكن عدوانًا ولا فرضًا لسطوتِه، ولا ظلمًا لأعدائه، بل كانت تحمل في طياتها الرحمة والإنسانية، فتتمثل الإنسانية الحانية في ذلك المشهد الذي يفيض رحمةً ورفقًا، ومع كل ذلك كان لا ينسي عليه الصلاة و السلام أن يقول: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))

عن عروة عن عائشة أنها حدَّثته أنها قالت للنبي صلـ الله عليه وسلم: هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أُحُد؟ قال: ((لقد لقيتُ من قومِك، وكان أشد ما لقيتُه منهم يوم العقبة إذ عرضتُ نفسي على ابنِ بن عبد كُلال، فلم يُجِبْني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستَفِقْ إلا وأنا بقرنِ الثعالب، فرفعتُ رأسي فإذا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قولَ قومِك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملَك الجبال لتأمرَه بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله سمِع قولَ قومك لك، وأنا ملَك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئتَ، إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبينِ، فقال النبي صلـ الله عليه وسلم: ((بل أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا)) أخرجه البخاري ومسلم

إنسانيته مع الأسرى

أما الجانب الإنساني في حروبه، فقد وضع النبي صلـ الله عليه وسلم ميثاقَ التعامل مع الأسرى بالرفق والرحمة واللين.
في معركة بدر عندما أسر المسلمون سبعين رجلًا من المشركين
عن نبيه بن وهب أخي بني عبدالدار، أن رسول الله صلـ الله عليه وسلم حين أقبل بالأُسارى فرَّقهم بين أصحابه، وقال: ((استوصوا بالأُسارى خيرًا))، قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال: فقال أبو عزيز: مرَّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسِرُني، فقال: شدَّ يدك به؛ فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، قال: وكنتُ في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدرٍ، فكانوا إذا قدَّموا غداءَهم وعشاءهم، خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلـ الله عليه وسلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كِسرة خبز إلا نفحني بها، قال: فأستحيي فأردها على أحدهم، فيردها عليَّ، ما يمسها
كان هذا الخلق الكريم، الذي غرسه القائد الرحيم صلـ الله عليه وسلم في أصحابه وجنده وشعبه قد أثَّر في إسراع مجموعةٍ من كبراء الأسرى وأشرافهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز عقب معركة بدر بعيد وصول الأسرى إلى المدينة وتنفيذ وصية النبي صلـ الله عليه وسلم، وأسلم معه السائب بن عبيد، وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم يتحدَّثون عن مُحَمّدٍ صلـ الله عليه وسلم ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته، وعن دعوته، وما فيها من البر والتقوى والإصلاح والخير.

إنسانيته في غزوة حُنين مع الأسرى

يقول جان باغوت غلوب: وكان انتصار المسلمين على هَوازِن في حُنين كاملًا، حتى إنهم كسبوا غنائم كثيرة بين أعداد وفيرة من الإبل والغنم، كما أسروا عددًا ضخمًا من الأسرى، معظمهم من نساء هوازن وأطفالها، وعندما عاد النبي صلـ الله عليه وسلم من الطائف دون أن يتمكَّن من فتحها، شرع يقسم الغنائم والأسلاب بين رجاله، ووصل إليه وفدٌ مِن هوازن المهزومة المغلوبة على أمرها، يرجوه إطلاق سراح النسوة والأطفال من الأسرى، وسرعان ما لبَّى النبي صلـ الله عليه وسلم الطلب، بما عُرف عنه من دماثة وتسامح، فلقد كان ينشد من جديد في ذروة انتصاره أن يكسب الناسَ أكثر من نشدانه عقابهم وقصاصهم
لقد تأثَّر مالك بن عوف زعيمُ هوازن المهزومة بهذا العفو الكريم والخلق العظيم من سيدنا محمد صلـ الله عليه وسلم، بعدما أطلق له كل الأسرى من قومه، فجادت قريحته لمدح النبي صلـ الله عليه وسلم، فأخذ ينشد أبياتًا من الشعر يشكر فيها رسول الله، صلـ الله عليه وسلم، قائلًا:

ما إن رأيتُ ولا سمعـــتُ بمثلِهِ
في النـــــاسِ كلِّهمُ بمثلِ محمَّدِ
أوفى وأعطى للجـزيلِ إذا اجتُدي
ومتى تشأْ يُخبِرْك عمـــا في غدِ
وإذا الكتيبةُ عرَّدتْ أنيـــــابها
بالسمهريِّ وضـــــرب كلِّ مهندِ
فكأنَّه ليـــــــثٌ على أشبالِهِ
وَسطَ الهبـــاءَةِ خادرٌ في مرصدِ

ما أعظم رسول الله رغم مسؤولياته الجسام، ومهامه العظام إلا أنه لم يُشْغَل عن مراقبة ما يحدث لحيوان من إساءة بالغة، وإهمال من ذويه فنصحتَ بالإحسان والرعاية، لقد وسِعت شفقتُه فراخَ طائرٍ، ورأى قريةَ نملٍ قد أحرقناها، فقال: ((مَن أحرق هذه؟))، قلنا: نحن، قال: ((إنه لا ينبغي أن يُعذِّبَ بالنار إلا رب النار))
هذا هو نبيُّ الرحمةِ والإنسانية،، والمحبة صلـ الله عليه وسلم

موقفه صلـ الله عليه وسلم مع عكرمة بن أبي جهل

عن عروة بن الزبير قال: ((قال عكرمة بن أبي جهل: لما انتهيت إلى رسول الله صلـ الله عليه وسلم قلت: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنَّك أمَّنتني، فقال رسول الله صلـ الله عليه وسلم: أنت آمن. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبد الله ورسوله، وأنت أبرُّ الناس، وأصدق الناس، وأوفى الناس، قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطئ رأسي استحياء منه، ثم قلت: يا رسول الله، استغفر لي كلَّ عداوة عاديتكها، أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك، فقال رسول الله صلـ الله عليه وسلم: اللهم اغفر لعكرمة كلَّ عداوة عادانيها، أو موكب أوضع فيه يريد أن يصدَّ عن سبيلك. قلت: يا رسول الله، مرني بخير ما تعلم فأُعلِّمُه، قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وتجاهد في سبيله، ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصدِّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالًا في الصدِّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله ثم اجتهد في القتال حتى قتل يوم أجنادين شهيدًا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه))

نموذج من عفوه صلـ الله عليه وسلم

كان النبي صلـ الله عليه وسلم قد بلغ القمة، والدرجة العُليا في العفو والصفح، كما هو شأنه في كلِّ خلُقٍ من الأخلاق الكريمة، فكان عفوه يشمل الأعداء فضلًا عن الأصدقاء، وكان صلـ الله عليه وسلم أجمل الناس صفحًا، يتلقى من قومه الأذى المؤلم فيعرض عن تلويمهم، أو تعنيفهم، أو مقابلتهم بمثل عملهم، ثم يعود إلى دعوتهم ونصحهم كأنما لم يلقَ منهم شيئًا، وفي تأديب الله لرسوله بهذا الأدب أنزل الله عليه في المرحلة المكية قوله: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ [الحجر:85-86]
ثم أنزل عليه قوله: فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الزخرف:89]
فكان يقابل أذى أهل الشرك بالصفح الجميل، وهو الصفح الذي لا يكون مقرونًا بغضب أو كبر أو تذمر من المواقف المؤلمة، وكان كما أدَّبه الله تعالى. ثم كان يقابل أذاهم بالصفح الجميل، ويعرض قائلًا: سلام.
وفي العهد المدني لقي الرسول صلـ الله عليه وسلم من يهود المدينة أنواعًا من الخيانة فأنزل الله عليه قوله: وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [المائدة: 13]

فصبر الرسول صلـ الله عليه وسلم عليهم وعفا وصفح حتى جاء الإذن الربانيّ بإجلائهم، ومعاقبة ناقضي العهد منهم
فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله صلـ الله عليه وسلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى.
قال الله "عزَّ وجل" وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ [آل عمران: 186]
وقال: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الآية [البقرة: 109]
فكان رسول الله صلـ الله عليه وسلم يتأول في العفو عنهم ما أمر الله به...))
وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو بنِ العاصِ رضي اللهُ عنهما واصفًا النبي صلـ الله عليه وسلم: (.ولا يَدفَعُ السيئةَ بالسيئةِ ، ولكن يعفو ويَصفَحُ)) .
وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ((أنَّ النبي صلـ الله عليه وسلم ركب حمارًا، عليه إكاف ، تحته قطيفة فدكية. وأردف وراءه أسامة، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذاك قبل وقعة بدر. حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه،

ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلَّمَ عليهم النبي صلـ الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي: أيها المرء، لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقًّا، فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك، قال: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي صلـ الله عليه وسلم يخفِّضهم ، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة. فقال: (أي سعد، ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أبي، قال كذا وكذا قال: اعف عنه يا رسول الله، واصفح، فو الله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوِّجوه، فيعصبوه بالعصابة فلما ردَّ الله ذلك بالحقِ الذي أعطاكه، شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه النبي صلـ الله عليه وسلم))
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما ضرب رسول الله صلـ الله عليه وسلم شيئًا قط بيده، ولا امرأةً ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله عزَّ وجلَّ)) .

موقفه صلى الله عليه وسلم مع أهل ثقيف

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلـ الله عليه وسلم حدثته أنها قالت لرسول الله صلـ الله عليه وسلم: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال: ((لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يَالِيلَ بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إنَّ الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله صلـ الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا))

موقفه صلـ الله عليه وسلم مع أهل مكة

لما فتح رسول الله صلـ الله عليه وسلم مكة دخل البيت، فصلى بين الساريتين ، ثم وضع يديه على عضادتي الباب، فقال: لا إله إلا الله وحده ماذا تقولون، وماذا تظنون؟ قالوا: نقول خيرًا، ونظن خيرًا: أخ كريم، وابن أخ، وقد قدرت، قال: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف صلـ الله عليه وسلم: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين [يوسف:92])) .
دراستي لأعظم شخصية في التاريخ:

مُحَمّدٌ ﷺ أعظم شخصية في التاريخ

جديرٌ بالذكر أن نذكر أن مُحَمَّدَاً هو أعظم شخصية في التاريخ الإنساني ولقد اعتبر أحد الكتاب الغربيين في كتابه (الخالدون مائة) الرسول (ﷺ) في المرتبة الأولى من عظماء التاريخ ، كما واعتبره أعظم شخصية في تاريخ العالم بما حققه من نجاح عظيم في إبلاغ رسالته وتأسيسه لدولة إسلامية كبيرة، وحضارة عريقة ظلت تغذي العالم بالعلم والمعرفة والعطاء لقرون عديدة، حيث يقول الدكتور مايكل هارث أستاذ الرياضيات والفلك والفيزياء في الجامعات الأمريكية وخبير هيئة الفضاء الأمريكية: لقد اخترت مُحَمّداً ﷺ في أول هذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك، ولكن مُحَمّداً (ﷺ) هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي. وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً، وبعد ثلاثة عشر قرناً من وفاته فإن أثر مُحَمّداً (ﷺ) لا يزال قوياً متجدداً، وتظهر عظمة الرسول (ﷺ) من خلال ذلك الإعجاز الهائل الذي غير به ظاهرة الجزيرة العربية وأخرجها من بؤس الجاهلية وشقاء التقاليد الوثنية، فالجزيرة العربية كانت غارقة في جهل مطبق، وظلام دامس، ووحل العبودية للأصنام والأحجار الصمّاء وفقر مميت، وان الذي يقارن بين الجزيرة العربية قبل البعثة وبعد البعثة يصاب بالذهول مما يراهُ من التحول الإعجازي الجذري الذي حصل فيها....

فتحول الأعراب الغارقين في الصحاري المترامية والجاهلية البائسة الى حضارة منطلقة أعطت العالم روحاً جديدة، وأفاضت عليه تاريخاً مشرقاً وضّاءَاً.

يقول المستشرق الأمريكي أدوارد وورمسي: وكانت بلاد العرب غارقة قبل نبوّة محمد (ﷺ) في أحطِّ الرزايا والمفاسد حتى ليصعب علينا وصف تلك الخزعبلات التي كانت سائدة في كل مكان، فالفوضى العظيمة التي كان الناس منهمكين فيها في ذلك العصر، وجرائم الأطفال يعني قتلهم خشية الفقر ووأد البنات أحياء، والضحايا البشرية التي كانت تقدم باسم الدين، والحروب الدائمة التي تنشب من حين لآخر بين القبائل المختلفة، والنقص المستديم في نفوس أهل البلاد وعدم وجود حكومة قوية حتى أتى الوحي من عند الله الى رسوله الكريم، ففتحت حججه العقلية السديدة أعين أمة جاهلة فانتبه العرب، وتحققوا أنهم كانوا نائمين في أحضان الرذيلة المظلمة ولنتصور سكان البادية حينما رأوا أصنامهم تكسّر على مرأى ومسمع منهم وهم المشهورون بالشجاعة والصلابة في الرأي وعدم الخضوع للغير، أفلا يثور ثائرهم ويهبّون لقتل محمد،

ولكنه كان يتكلم بكلام الله "عزَّوجل"، فقد كانوا يشعرون بذلك حيث يجدون في نبرات صوته هدىً وتأثيراً كبيراً هكذا انتصرت الفضيلة على الرذيلة، والذي يضفي على هذه الرسالة والرسول آفاق النجاح والموفقية في تحقيق أهدافها، هي تلك الانعطافة التي أحدثها رسول الله (ﷺ) في مسيرة الحياة الإنسانية فمع انطلاقة هذه الرسالة بدأ عهد جديد تحولت فيه الإنسانية الى وجه جديد وحضارة متألقة تتصاعد نحو التقدم والرقي ،، إذ أن الفكر الإنساني بدأ ينضج ويتبلور بعد أن استطاعت الحضارة الإسلامية أن تقدم الى العالم النتاج العلمي الكبير الذي أصبح وبالفعل قاعدة لانطلاقة العلم الحديث، فقد أثار الرسول (ﷺ) برسالته الخالدة جذور الفكر، ورسّخ منهج الرحمة والإنسانية بعد أن حارب أفكار الجاهلية والتقليد الأعمى والإستعباد والإستبداد، ليضئ للإنسانية مفاهيم الحرية والعلم، والإخاء والمحبة والتحاب في الله وحده والخُلق، فبعد أن استطاعت الحضارة الإسلامية أن تمد جذورها في بلاد العالم بدأت مرحلة جديدة من الفكر والعقلانية، واتخذ العالم منهجاً متميزاً في إدارة أموره ليعتمد بالدرجة الأولى على الحرية والعلم والعقل.

فقد كان المنطلق الذي قامت عليه الرسالة المحمدية هو التعلم (إقرأ)و (الحرية) ليزيل أثر العبودية، و(العقل) لإعماله والتدبر في خلق الله، ليصبح الخطاب العلمي والعقلي هو المعجزة الكبيرة التي تمثلت في القرآن، ولذلك فان القرآن الكريم يجسد في طياته مفاهيم حضارة جديدة باستطاعتها أن تغذي العالم بأفكار ورؤى تعطيه الطاقة الحيوية لبناء إنسانية متطورة..

يقول الكاتب الروسي الكبير تولستوي:

ومما لا ريب فيه أن النبيَّ مُحَمّدٌ (ﷺ) كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً إنه هدى أمة برمتها الى نور الحق، وجعلها تجنح الى السكينة والسلام، وتُؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهذا عمل عظيم لا يقوم به الاّ شخص أُوتي قوّة، ورجل مثل هذا لجدير بالاحترام والإجلال).

ويقول الكاتب الكبير برنارد شو:

(إني أكنُّ كل تقدير لدين مُحَمّدٍ (ﷺ)، لحيويته العجيبة فهو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له طاقة هائلة لموافقته أوجه الحياة المتغيرة وصالح لكل العصور. لقد درستُ حياة هذا الرجل العجيب، وفي رأيي أنه يجب أن يسمى منقذ البشرية).
نعم إنه منقذ البشرية ودينه دين الحياة والسعادة، يقول تعالى في كتابه الحكيم: (الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد). إبراهيم: 1.
ومما لا ريب فيه فإن انطلاقة الفكر الإنساني الحديث بدأت على يد رسول الله (ﷺ) عندما حملت رسالته الخالدة الى العالم تلك المفاهيم الراقية التي غيرت التاريخ الإنساني ليبدأ إنعطافة حضارية جديدة لا زالت تفيض على البشر بالعطاء والخير والعلم، فقد أرسى رسول الله (ﷺ) مبدأ الحرية بصورة عملية بعد أن أكد القرآن على ذلك في الكثير من آياته، فكانت الحرية السياسية والفكرية التي تعطي للإنسان الحق في التعبير عن رأيه (وأمرهم شورى بينهم) وكذلك الحرية الدينية التي تمنح للأديان الأخرى الفرصة لممارسة حقوقهم وقوانينهم (لا إكراه في الدين).
وقد ضرب الإسلام على طول تاريخه أروع الأمثلة في التعامل مع الأديان الأُخرى والتعايش معها، فنعمت هذه الأديان بالحرية والأمن.

يقول المستشرق الفرنسي جاك بيرك:

لم يكن الإسلام في أي يوم عدو الديانات الأُخرى، بل أنه الديانة الوحيدة التي حافظت على حقوق أبناء الديانات الأُخرى، وهذا موقف ساحر بكل تأكيد، وقلما شاهدنا في تاريخ الديانات هذا المستوى من السحر الذي نشاهده في الإسلام.
وإذا كان الغرب يدعي تصديه اليوم لطرح الأفكار الإنسانية الجديدة ومبادرته إليها مثل: الحرية والمساواة والديمقراطية وحقوق الإنسان و..، فإن الرسول (ﷺ) كان قد سبقهم من قبل بعدة قرون، فكانت الحرية هي محور وجود الإنسان في الإسلام، والشورى هي الأصل الذي لابد للحاكم أن يلتزم بها في ممارسة الحكم، والمساواة هي النظرة الاجتماعية العامة التي يجب ان تحكم المجتمع الإسلامي، فلا فرق بين أبيض ولا أسود، ولا بين عربي ولا أعجمي، إلاّ بالتقوى، والناس سواسية كأسنان المشط، فالمقياس للتفاضل في الإسلام هو الكفاءة المدعومة بالتقوى لا اللون والجنس والعنصر والطبقة، كما أن العدالة الاجتماعية هي القانون الحاكم في الإسلام. لذلك نجد ان رسالة رسول الله (ﷺ) لمَّا قامت على هذه المفاهيم ضمت كل الفصائل البشرية على اختلافها، فكان الى جنب الأغنياء في معسكر رسول الله (ﷺ) الفقراء والى جنب العرب الفرس مثل سلمان الفارسي والى جنب الأبيض الأسود مثل بلال الحبشي

يقول البروفسور كاراديفو في كتابه المحمدية:

إن محمداً كان هو النبي الملهم والمؤسس ولم يستطع أحد أن ينازعه المكانة العالية التي كان عليها، ومع ذلك فإنه لم ينظر الى نفسه كرجل من عنصر آخر، أو من طبقة أخرى غير طبقات بقية المسلمين..، ان شعور المساواة والإخاء الذي أسسه محمد (ﷺ) بين أعضاء الكتلة الإسلامية، كان يطبّق عملياً حتى على النبي نفسه، وهكذا فإن رسول الله
(ﷺ) بذر البذرة الأولى في حقل الإنسانية لإبداع عالم جديد يقوم على حركة من نوع جديد تحمل أفكاراً ومفاهيم جديدة. فلأول مرة في تاريخ العالم بدأت أول حركة إصلاحية عالمية شاملة اعتمدت على السلم والأخلاق والعدالة والحرية والشورى والمساواة ففتحت صفحة حضارية ناصعة البياض وكتبت تاريخاً مشرقاً تفتخر به الإنسانية حتى الأبد.
إنّ دراسة تاريخ النبيّ (ﷺ) يعطينا زخماً كبيراً من الأفكار والتجارب الذي يوفر لنا الكثير من المعلومات التي يمكن الاستفادة منها في حاضرنا والنجاح في إنقاذ العالم الإسلامي من مشاكله إذ أن حركة الرسول (ﷺ) كانت حركة ناجحة كلياً شهد بذلك الأصدقاء والأعداء، وهذا يعني أنه يمكن أن تصبح هذه التجربة نبراساً نهتدي بها لتحقيق النجاح في حياتنا، ولكن بعد أن نستفيد منها بصورة جادة وواقعية، وندرسها بدقة وحزم، ونفهم ظروفها وحدودها والأسس التي قامت عليها
اللاعنف إنّ أهم الأسس التي قامت عليها حركة الرسول (ﷺ) والتي كان لها الدور الأساسي في نجاحها هو أسلوب السلم والسلام، وعدم اللجوء الى العنف والقوة، وهذا الأسلوب أي أسلوب اللاعنف في التحرك الذي انتهجه رسول الله(ﷺ) هو من معاجزه الكبيرة التي تنم عن عظمته وعبقريته، فمع كل المواجهات الصعبة والمضايقات التي لاقاها من أعداءه لم يلجأ الى العنف أبداً، وكان السلام شعاره ودثاره دائماً، الاّ في حين تنتهك حرمات الله، أويُجير ظالماً علي مظلوم
فالسلام هو شعار الإسلام ولذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم: (ادخلوا في السلم كافة)، أي أن السلم هو الأصل في الإسلام وهو القاعدة في المنطلق والحركة، والمنطق والبيان، والفعل والانفعال، ولهذا السبب تقدم الإسلام واستطاع أن يغزو العالم وينشر حضارته وأفكاره في أرجائها ويحقق ذلك النجاح التاريخي الكبير.
لقد كان رسول الله (ﷺ) مبعوث السماء ويهدف بالدرجة الأولى الى إصلاح الإنسان وإنقاذ المجتمع الإنساني وتحرير العقل من رواسب الجاهلية وقيود الاستعباد، لذلك فإنه ارتكز على مخاطبة العقل واقناع الإنسان بضرورة تغيير نفسه ودراسة أفكاره وسلوكه، وهذا يعتمد بالضرورة على الحوار الموضوعي والمنطق الفكري والاستدلال الهادئ، مما يعني أن أية حركة عنيفة أو خطوة خشنة سوف تحقق مردوداً عكسياً وتفرز نتائج سلبية تؤثر على مسيرة الحركة وتؤدي بها الى التوقف والذبول.

ومن هنا فإن منطق الرسل والأنبياء هو منطق السلم واللاعنف والاحتجاج العقلاني من أجل إنقاذ البشرية، وكان هذا واضحاً في المنهج السلمي الذي اعتمده الرسول (ﷺ) في إبلاغ رسالته مما جعله قادراً على السيطرة على الجزيرة العربية بأسرع وقت وأقل الخسائر. يقول الله تعالى في كتابه الكريم حول استخدام السلم واللين والابتعاد عن العنف والغلظة، واستخدام سياسة العفو والاعتماد على منهج الشورى كأسلوب في الإقناع الحر، والحوار السلمي، والمشاركة في اتخاذ القرار (فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لأنفضّوا من حولك فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين).
ولقد ذكر المؤرخون أن أهل مكة لم يحاربوا الرسول (ﷺ) بعد فتح مكة، وانما رضخوا للحكم الإسلامي بدون قوة وسلاح، لأن الرسول (ﷺ) كان قد استولى على قلوبهم بعد أن عفى عنهم، والقلب عندما يحمل الولاء والمحبة لأحد يصعب عليه بعدها أن يثور ويتمرد، فعندما هتف أحد أصحاب الرسول (ﷺ) عند دخولهم مكة:
(اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة)، قال الرسول (ﷺ) لعلَيّ : خُذ اللواء واهتف بعكسه. فأخذ عليٌّ اللواء وهتف: اليوم يوم المرحمة اليوم تحفظ الحرمة.

يقول المستشرق أميل ديرمانجم في كتابه حياة محمد ﷺ
إن مُحَمّدَاً رسول الإسلام، قد أبدى في أغلب حياته اعتدالاً لافتاً للنظر، فقد برهن انتصاره النهائي على عظمة منافسيه وكثرة أعدادهم قلّ أن يوجد لها مثيل في التاريخ، إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء والأطفال والنساء، وحذرهم من أن يهدموا البيوت أو يسلبوا التجار أو يقطعوا الأشجار المثمرة، وأمرهم الا يجرّدوا السيوف إلاّ في حالة الضرورة الداعية، وقد تجلى السلم في حياة الرسول (ﷺ) بشكل كبير وذلك من خلال سلوكه اليومي مع أصحابه وأعدائه، فقد عفى رسول الله (ﷺ) عن كفار قريش الذين قاتلوه وآذوه وقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، ولما ناصروه في حرب حنين أعطاهم الغنائم الكثيرة، وعفى عن وحشيّ قاتل عمه حمزة وعن غيره من المطلوبين بالأوتار وعمن كان من أقطاب الجاهلية وعلى أثر ذلك أخذ الإسلام بالانتشار سريعاً بعد أن انبهر الناس بأخلاقيات الرسول (ﷺ) وعفوه وحلمه وصبره وسلمه
يقول الله تعالى في كتابه الكريم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم). التوبة : 29.

مكارم الأخلاق

ومن الأُسس التي قامت عليها حركة الرسول (ﷺ) وانطلقت عبرها نحو النجاح هي الأخلاق الرفيعة التي تجسدت في الرسول (ﷺ) عملياً، يقول الله تعالى في وصف رسوله (وإنّكَ لعلى خلقٍ عَظيم) القلم : 4

فمن طبيعة الإنسان الفطرية هو ميله الى مكارم الأخلاق وحبه للأخلاق الحسنة، فمهما تعاظمت قوة الإنسان العسكرية والاقتصادية فإنه لا يستطيع أن يستولي على القلوب وإن استولى على الأجساد، إذ أن حكومة القلوب تنبع من الروح المثالية التي تجسدها الأخلاق الإنسانية الرفيعة، وهذا هو سلاح الرسول (ﷺ) في حركته لنشر الإسلام، حيث لم يملك (ﷺ) شيئاً سوى سمو أخلاقه وعظمة ايمانه مما جذب الناس إليه وجعلهم يؤمنون بدينه، فقد كان رسول الله (ﷺ) أجود الناس كفّاً، وأكثرهم صبراً، واصدقهم لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم طابعاً، وأكرمهم عشرة، من رآه أَحَّبُه وكان يؤلف الناس ولا ينفرهم، ومن جالسه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلاّ بها أو بميسور من القول، وبأخلاقه العظيمة هذه تحول الأعداء الى أصدقاء والأصدقاء الى متفانين في سبيل الله، ومضحين من أجل الرسالة، وبأخلاقه العالية بل وغلب علي الأعداء أن جعلهم برحمته وإنسانيته وعفوه يقرّون له بالفضل ويعترفون له بالنبل والكرامة، ومن ذلك اعتراف قريش على ما نقل من أنه عندما لقي الأخنس أبا جهل قال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا، تخبرني عن محمد (ﷺ) صادق أم كاذب؟ فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط.

وبهذا الصدد يقول (فلوراندیه) و(جورج مارسيه) في كتابهما (العالم الشرقي) ما نصه:

(كان محمد رسول الله (ﷺ) شجاعاً يخوض المعركة بنفسه ويرد الثبات الى قلوب الذين يضعفون وكان رحيماً بالضعفاء، ويؤوي في بيته عدداً كبيراً من المحتاجين، وكان مع احتفاظه بهيبة كاملة بسيطة الحركات لا يتكلف شيئاً وبشوشاً سهل المعاملة رقيق الحماسة لا يثير غضبه أهل الفضول، وكان رجلاً بشيراً.. وان فيه لا شك كثير من الخصال التي اتصل بها رجال عصره، ولكنه قد حمل الى هؤلاء الرجال مثلاً رفيعاً في الدين والأخلاق، وسما سمواً بالغاً عن الآراء القديمة ..

وهو إذ جمعهم عصبة واحدة تحت راية ذلك المثل الرفيع، قد صنع منهم قوة قدّر لها فيما بعد أن تهز أركان العالم القديم).

ويقول لورد هدلي:

(فكّرت وابتهلت أربعين عاماً لكي أصل الى الحقيقة، ولابد أن أعترف أن زيارتي للشرق المسلم ملأتني احتراماً للدين المحمديّ السهل ، الذي يجعل المرء يعبد الله طوال مدة الحياة، لا في أيام الأحد فقط، وأني لأشكر الله أن هداني للإسلام الذي أصبح حقيقة راسخة في فؤادي، وجعلني ألتقي بسعادة وطمأنينة لم ألتق بهما من قبل، لقد كنت في سرداب مظلم، ثم أخرجني الاسلام الى فسيح من الأرض تضيئه شمس النهار، فأخذت استنشق هواء البحر النقيّ الخالص).

ويتحدث لورد هدلي عن شخصية مُحَمّدٍ بن عبد الله (ﷺ) باعتبارها المثل الأعلى فيقول:

(وأن للنبي العربي أخلاقاً قوية متينة وشخصية وزنت ومحصت واختبرت في كل خطوة من خطى حياته، ولا نقص فيها على الإطلاق، وبما أننا في حاجة الى نموذج كامل يفي باحتياجاتنا في الحياة، فشخصية النبيِّ المقدَّس (ﷺ) تسد تلك الحاجة، فهي مرآة تعكس علينا التعقل الراقي والسخاء والكرم والشجاعة والإقدام والصبر والحلم والوداعة والعفو والتواضع، والحياء، وكل الأخلاق الجوهرية التي تكون الإنسانية بها في أسمى صورها وإنّا لنرى ذلك في شخصيته بألوان وضَّاءة.

ويقول أيضا هدلي في أخلاق الرسول (ﷺ):

(وقد نال مُحَمّدَاً نبيّ الإسلام (ﷺ) حب العالم أجمع وحب أعدائه بوجه خاص، وذلك عندما ضرب مثلاً في مكارم الأخلاق بإطلاق سراح عشرة آلاف أسير، كانوا في يوم من الأيام يعملون على قتله والفتك به وإيرادهِ وأصحابه موارد الهلاك..).

ويقول الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل:

(لقد كان محمد ( )ﷺ زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر حياته وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز بل التمر والماء وربما كان يصلح ويرفو ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد (ﷺ) نبيٌّ خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد، قائم النهار، ساهر الليل، دائب في نشر دين الله، غير طامح الى ما يطمح إليه أصاغر الرجال، من رتبة أو دولة أو سلطان، وهو بحق النبيّ ذو الخلق العظيم)
ويقول المستشرق الانجليزي هولين بول الذي اعتنق الإسلام عام 1914:
(أن محمداً رسول الإسلام (ﷺ) كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة، كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى أن الإنسان لا يستطيع أن يحكم له دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات من أثر في نفسه، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً عن ميل وانما على هدى، وكيف لا؟ وقد احتمل مُحَمّدٌ عداء أهله وعشيرته أعواماً، فما وهن له عزم ولا ضعفت له قوة، وقد بلغ مُحَمّدٌ من نبله أنه لم يكن طول حياته البادىء بسحب يده من يد مصافحه، حتى ولو كان المصافح طفلاً، وانه لم يمر بجماعة يوماً رجالاً كانوا أو أطفالاً دون أن يقرأ عليهم السلام، وفي شفتيه ابتسامة حلوة وفي فمه نغمة جميلة، كانت تكفي لسحر سامعها فيجذب القلوب إليه جذباً).

العقل والحكمة

ان دراسة حياة النبيّ (ﷺ) تكشف لنا عن عقل كبير استطاع أن يفهم الحياة بحكمة، ويتعامل مع الواقع الخارجي بحنكة سياسية كبيرة يندر أن يرى لها التاريخ مثيلاً، فالحكمة السياسية التي تعامل بها الرسول (ﷺ) مع أعداءه جعلته ينتصر عليهم بأسرع وقت ألاقل الخسائر، فلا يمكن أن نجد على طول التاريخ قائداً سياسياً كبيراً استطاع أن ينتصر على أعداءه بهذه السرعة وهذا العدد القليل من الخسائر البشرية والمادية بعد أن كان لا يمتلك أي شيء من الإمكانات المادية التي تؤهله لأن ينتصر غير عقله الكبير وحنكته السياسية، فقيادته للحروب مع المشركين واستخدامه لأذكى الاستيراتيجيات العسكرية وخاصة في اختياره للمواقع الحربية واستخدامه لأساليب الحرب السليمة، تضعه في قمة التاريخ العسكري، وإذا كان تقييم الخبراء العسكريين لإدارة الحرب، بأنها الانتصار بدون حرب ودماء فإن هذا يجعله (ﷺ) من أذكى القادة في التاريخ،

ومن ناحية أخرى فإن الإدارة الحكيمة للصراع السياسي توضح عبقرية الرسول (ﷺ) وتكشف عن أحد أهم أسباب نجاحه في حركته، ويبدو ذلك جليّاً في صلح الحديبية حيث استفاد منه رسول الله (ﷺ) في تحكيم مواقع الإسلام وامتلاك حرية الحركة لأجل نشره، ويبدوا واضحاً أيضا في قدرته على ايجاد التوازن والاتحاد بين فئات المسلمين من المهاجرين والانصار والأوس والخزرج وذلك من خلال مسألة التآخي التي يمكن أن تعتبر أكبر مناورة سياسية ناجحة في التاريخ حيث رسخت دعائم الإسلام وأدت الى تماسك المجتمع الإسلامي وقيادته نحو هدف مشترك.

وكما يبدو ذلك أيضاً في تعامله الذكي مع المنافقين الذين كانوا يسعون الى تخريب الإسلام من الداخل، ولكنه بحكمته (ﷺ) استطاع ان يحجّمهم ويستوعبهم،

ويظهر العقل الكبير للرسول (ﷺ) في فن ادارته للحكم وقدرته على تأسيس دولة حديثة قوية تمتلك نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً متوازناً، وحينها بدأت مرحلة تاريخية جديدة في حياة البشرية لم تتعرف عليها من قبل في أنظمة الحكم والدولة. فقد اتسع نطاق المدينة وتزايد عدد سكانها، وأخذ الناس يعمّرون الأراضي الواسعة، فكتب رسول الله (ﷺ) صحيفة بين المهاجرين تجعل أهل كل حي من الأنصار مسؤولين عن حيّهم وعن أمن المدينة من ناحيتهم، فكانت حكومة الرسول (ﷺ) حكومة شعبية زمامها بيد الشعب نفسه، فتحولت حكومة المدينة الى حكومة مثالية لم يسمع فيها جرائم أو منازعات أو فوضى أو قلّة نظام، وذلك بعد أن استطاع الرسول (ﷺ) ترسيخ المثل الإسلامية وتوطيد المحبة وتحكيم المساواة بين الجميع وتحصين الأُمة بالقوة الحقيقية والاطمئنان الواقعي والتقدم الصحيح، فساد الإيمان بالمثل والقيم الاسلامية في الناس، وتضائلت المشاكل الفردية والنزاعات الشخصية، وغلب على الناس الاتصاف بروح الجماعة والتعاون والتحاشي عن الوقوع في المعاصي والجرائم، وظهر في الناس التحلّي بالأخلاق الحسنة التي لم يعرفها الناس من قبل، فكان يؤثر الناس بعضهم بعضاً في العطاء والبذل في سبيل الله تعالى.. وقد شعر الجميع بأن زماناً جديداً يطلّ عليهم، فتهافتت القلوب الى الإسلام وأخذ الناس يلتفون حول رسول الله (ﷺ) بالطاعة والرضا وأخذت العشائر والقبائل والبلاد تتسابق الى الإسلام فازدادت البلاد الإسلامية بذلك سعة ورحباً، كما إزدادت شعبية الحاكم وحرية الشعب الممتزجة بالإيمان والفضيلة وحب الخير فأنزل الله تعالى:

(بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً فسبّح بحمد ربّك واستغفره انّه كان تواباً).

وبهذا الصدد يقول الكاتب الأمريكي سير فلكد :

كان عقل النبي محمد (ﷺ) من العقول الكبيرة، التي قلَّمَا يجود بمثله هذا الزمان، فقد كان يدرك الأمر ويدرك كنهه من مجرد النظرة البسيطة، وكان النبي محمد (ﷺ) في معاملاته الخاصة على جانب كبير من إيثار العدل، فقد كان يعامل الصديق والقريب والبعيد والغني والفقير والقوي والضعيف بالمساواة المطلقة. إنّ كل هذه الفتوحات والانتصارات لم توقظ في شعوره العظمة والكبرياء، ففي ذلك الوقت الذي وصل فيه الى غاية القوة والسيطرة كان على حالته الأولى في معاملته ومظهره، حتى بالرغم من الغنائم وغيرها فإنه كان يصرفها على نشر دعوته ومساعدة الفقراء، وكان مُحَمّدٌ (ﷺ) يجد راحته وعزاءه في أوقات الشدّة والمحنة في الثقة بالله ورحمته، ومعتمداً دائماً على الله ليتمتع بالحياة الأُخرى.

إن دراسة حياة الرسول (ﷺ) وحركته الاصلاحية الشاملة ومسيرته السلمية العادلة تلقي أنواراً مشرقة لاختيار الطريق نحو ايجاد التغيير وإنقاذ العالم الإسلامي.

صفات الكمال والجمال في رسول الرحمة والإنسانية:

جمع الله سبحانه وتعالى في نبيّه محمد صلـ الله عليه وسلم صفات الجمال والكمال البشري ، وتألّقت روحـه الطاهرة بعظيم الشمائـل والخِصال ، وكريم الصفات والأفعال، حتى أبهرت سيرته القريب والبعيد ، وتملكت هيبتهُ العدوّ والصديق، وقد صوَّرَ لنا هذه المشاعر الصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه أبلغ تصوير حينما قال :

وأجمل منك لم ترَ قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرّأً من كل عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء

فمن سمات الكمال التي تحلّى بها صلـ الله عليه وسلم خُلُقُ الرحمة والرأفة بالغير ، وكيف لا ؟ وهو المبعوث رحمة للعالمين ، فقد وهبه الله قلباً رحيماً ، يرقّ للضعيف ، ويحنّ على المسكين ، ويعطف على الخلق أجمعين ، حتى صارت الرحمة له سجيّة ، فشملت الصغير والكبير ، والقريب والبعيد ، والمؤمن والكافر ، فنال بذلك رحمة الله تعالى ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

وقد تجلّت رحمته صلـ الله عليه وسلم في عددٍ من المظاهر والمواقف ، ومن تلك المواقف :

أن رسول الله صلـ عليه وسلام مرّة وهو حامل أمامة بنت زينب ، فكان إذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها
وكان إذا دخل في الصلاة فسمع بكاء الصبيّ ، أسرع في أدائها وخفّفها، فعن أبي قتادة عن النبي صلـ الله عليه وسلم أنه قال: (إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبيّ ،فأتجوز في صلاتي ، كراهية أن أشقّ على أمّه) رواه البخاري ومسلم.
وكان يحمل الأطفال ، ويصبر على أذاهم ، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: (أُتي رسول الله صلـ الله عليه وسلم بصبي، فبال على ثوبه، فدعا بماء فأتبعه إياه) رواه البخاري.
وكان يحزن لفقد الأطفال ، ويصيبه ما يصيب البشر ، مع كامل الرضا والتسليم ، والصبر والاحتساب ، ولما مات حفيده صلـ الله عليه وسلم فاضت عيناه ، فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه : " يا رسول الله ما هذا؟ " فقال : (هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) .

كلما قلبت النظر في سيرة وشمائل الحبيب ـ صلـ الله عليه وسلم ـ تجد الكمال في أخلاقه، والسمو في تعاملاته، والإنسانية التي تمثلت في رحمته بالإنسان كل الإنسان، والحيوان فكمالات خُلُقه ـ صلـ الله عليه وسلم ـ آية كبرى، وعلم من أعلام نبوته، وقد مدحه الله "عز وجل" بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }(القلم:4) .
ومن الكمال الخُلُقي الذي تحلى به رسول الله ـ صلـ الله عليه وسلم - خُلُقُ الرحمة والرأفة بالغير، فقد وهبه الله قلباً رحيماً، يرق للضعيف، ويحن على المسكين، ويعطف على الناس أجمعين، حتى صارت الرحمة له طبعا، فشملت الصغار والكبار، والمؤمنين والكفار، فحقاً كان الرحمة المهداة من لدن حكيم عليم.. اللهم صلـ وسلم وبارك عليه

مُخْتَصَرٌ لحياةِ النبيِّ ﷺ من يوم مولده وحتي وفاته، وصفاته:

مَولد النبيّ ونشأته:

وُلِدَ نبيّ الأمة، وخاتم الرُّسل محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ يوم الاثنين من شهر ربيع الأوّل من عام الفيل، وقد رأت أمّه حين ولادته كأنّ نوراً يخرج منها تُضيء له قصور الشام، وقد نشأ النبيُّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ في قومه يتيماً دون أب فقد ظلَّ مع أمّه التي سَعَت إلى التماس المَراضع له منذ صِغره، فأرضعته حليمة السعدية، وبقيَ عندها زماناً، ثم حادثة شَقّ الصَّدر حين أتاه جبريل (عليه السلام) فشَقّ عن صَدره، وأخرج قلبه، فشَقَّه نصفَين، ثمّ أخرج منه قطعةً سوداء وهي حَظّ الشيطان منه، ثمّ غسلَ القلب بماء زمزم، ثمّ لَأَمَ قلبه، وأعاده إلى مكانه، ثمّ أعادته مُرضعته إلى أهله.
مكث محمّدٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند أمّه حتى كتب الله عليها الوفاة، وذلك حينما كانت برفقة نبيّ الله في زيارةٍ لأخواله من بني النجّار في المدينة المُنوَّرة، وبعد وفاة أمّه، كَفِلَه جدّه عبد المطّلب، ثمّ ما لبث أن تُوفّي، وكان عُمر النبيّ ثمانية أعوام، ثمّ كَفِلَه عمّه أبو طالب، فنشأ في بيته، وحينما عاينَ النبيّ فَقْرَ عمّه، قرَّرَ مساعدته في تحمُّل نفقات البيت، فرعى غنمَ قريش زماناً، ثمّ عَمِلَ مع عمّه في التجارة إلى الشام، وفي إحدى رحلاتهم التجارية إلى الشام، لاحظ أحد الرُّهبان حين كان يتعبّد في صومعةٍ له علاماتٍ تدلّ على وجود نبيٍّ في تلك القافلة، فخرج إلى القوم مُخبراً إيّاهم بأمر مُحَمّدٍ ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكيف أنّه سيكون نبيّاً في آخر الزمان، والمَبعوث رحمةً للعالَمين، وأخبرهم بما رأى من حاله، ومن ذلك سجود الشجر، والحجر له، وتظليل الغمامة له أثناء مَسيره،
شباب النبيّ اشتُهِر النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ في شبابه بالصدق، والأمانة، وعُرِف بهما بين أقرانه، وحينما ذاع صيته بين الناس، أوكلَته السيّدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ بالتجارة بأموالها، وكانت امرأةً عاقلةً، وصاحبةَ أموالٍ، فنجحَ النبيُّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بإدارة أموالها، وأدرَّ عليها الكثير من الرِّبح بفَضل حِنكته، ومهارته في التجارة، فدعَته السيّدة خديجة إلى خِطبتها لِما رأت من مقام له بين الناس، وخَبرته من أخلاقه، فتزوّجها النبيّ، وكان عمره خمساً وعشرين سنةً، بينما كان عُمرها أربعين سنةً، وظلّ زوجاً مُخلصاً لها طيلة خمسٍ وعشرين سنةً إلى حين توفّاها الله

وتجدر الإشارة إلى أنّ النبيَّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما بلغ من عمره خمساً وثلاثين سنةً، حصل له موقفٌ مع قومه، فدلّ على حِكمته، وحُسن تصرُّفه في الأمور حيث اختلفت قبائل قريش عند إعادة بناء البيت في وَضع الحجر الأسود، ومَن سيقوم بتلك المهمّة فقد أرادت كلّ قبيلةٍ أن تحوز شرفَ نَقل الحجر، فاختلفوا إلى نبيّ الله محمّدٍ لحَلّ النِّزاع بينهم، فأشار عليهم أن يضعوا الحجر الأسود في رِداءٍ، وتُمسك كلّ قبيلةٍ بطَرفٍ منه، فوافقوا على رأي النبيِّ، وحملوا الحجر الأسود، ثمّ وضعَه النبيُّ في مَوضعه،

تعبُّد النبيّ في غار حراء حُبِّبت إلى النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ الخُلوة مع ربّه، فكان يتعبّد على دين الحنيفيّة الليالي ذوات العدد في غار حراء، وكانت أوّل عهده بالوحي الرؤيا الصادقة إذ كان يرى المَنام، فيتحقّق في الواقع كفَلَقِ الصُّبح، وفي إحدى المَرّات، وبينما كان النبيّ في غار حراءٍ، وكان يبلغ أربعين سنةً من عُمره آنذاك، إذ بجبريل عليه السلام يتنزّل عليه من السماء، ويأمره بالقراءة، فيقول له إنّه ليس بقارىء، ثمّ يُعيد جبريل عليه الأمر مرّتَين، فيعتذر النبيّ في كلّ مرّةٍ، ثمّ تتنزّل عليه أولى آيات الوَحي على لسان جبريل -عليه السلام- وهي قَوْله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)،

ثمّ يعود النبيّ بعد تنزُّل تلك الآيات عليه إلى السيّدة خديجة خائفاً مُرتعِداً، فتُزيل عنه هَمّه، وتُسكّن روعه، وتُذكّره بأخلاقه بين الناس، وأنّه يُقري الضيف، ويصل الرَّحِم، ويُكسب المَعدوم، ويُعين على النوائب، ومَن كان ذلك حاله فلا يُضيّعه الله، ثمّ ذهبت معه إلى ابن عمّها؛ ورقة بين نوفل، وكان رجلاً نصرانيّاً عنده عِلمٌ من الكتاب، فسألته عمّا حدث مع النبيّ، فأدرك بعلمه أنّ ذلك ما هو إلّا الناموس الذي أُنزِل على موسى -عليه السلام-، فازداد النبيّ ثباتاً على أمره،

نزول الوَحي على النبيّ:

نزل الوحي على النبيّ محمّدٍ ـ صلـّ الله عليه وسلّم ـ أوّل مرّةٍ؛ تهيئةً وتعليماً له، ثمّ رجع جبريل عليه السلام بالوحي بعد ستّة أشهرٍ إيذاناً ببَدء مرحلة الدعوة والرسالة بعد أن هيّأه لنزول الوحي من قبل، وقد دلّ على الرسالة في تلك المرحلة وغايتها قَوْله -تعالى: (قُمْ فَأَنذِرْ) فالقيام يستدعي التهيُّؤ لتلك المرحلة، واستحضار جميع المعاني التي تُعين على أداء مَهامّها من الإخلاص، والاستقامة على أمر الله، وهنا نتوقف بحمد الله وفضله فنختم هذا الكتاب العظيم بصفاته صلـ الله عليه وسلم الخِلقية والخُلقية داعين الله"عزوجل" أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا أنا وكل قارئيه وأن ينفع به.

صفات النبي صلـ الله عليه وسلم:

صفاته الخَلقية اجتمعت برسول الله صلّ الله عليه وسلّم مجموعةً من الصفات الخَلقية، يُذكر منها: مربوعاً؛ أي ليس بالطويل ولا بالقصير الصحل في الصوت أي الخشونة أزهر اللون أي أبيض فيه حُمرةٌ. وسيمٌ قسيمٌ أي حسنٌ جميلٌ أزج الحاجب؛ أي رقيقاً في طوله. أكحل العينين.

وعن صفاته الخُلقية:

بعث الله عزَّوجل رسوله صلـ الله عليه وسلَّم ليبين للنّاس مكارم الأخلاق ويؤكّد الصالح منها ويُصلح ما فسد، وقد كان أعظم الناس أخلاقاً وأكملهم، ومن صفاته الخُلقية التي تحلّى بها:

*صدقه في أعماله وأقواله ونيّاته مع المسلمين وغيرهم، ودليل ذلك تلقيبه بالصادق الأمين، فعدم الصدق من صفات النفاق.

*سماحته وعفوه عن الناس وصفحه عنهم بقدر الاستطاعة، ومن القصص الواردة في ذلك عفوه عن رجلٍ أراد قتله وهو نائمٌ، قال عليه الصلاة والسلام: (إنَّ هذا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وهو في يَدِهِ صَلْتًا، فَقالَ: مَن يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلتُ: اللَّهُ -ثَلَاثًا- ولَمْ يُعَاقِبْهُ وجَلَسَ).

*كرمه وجوده وعطاؤه فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أجْوَدَ النَّاسِ بالخَيْرِ، وكانَ أجْوَدُ ما يَكونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ في رَمَضَانَ، حتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عليه النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ، كانَ أجْوَدَ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ).

*تواضعه وعدم تعاليه وتكبّره على الناس أو الانتقاص من قيمتهم، ذلك كما أمره الله سبحانه فالتواضع من الأسباب التي ملك القلوب وتأليفها، وكان يجلس بين الصحابة دون أن يميّز نفسه بأي شيءٍ، ولا يترفّع على أي أحدٍ منهم، إذ كان يخرج في الجنائز، ويزور المرضى، ويجيب الدعوة.

*حفظه للسانه وعدم نطقه بالسيء والقبيح من الأقوال، رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (لَمْ يَكُنْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّ اللهُ عليه وسلَّمَ فَاحِشًا، ولَا لَعَّانًا، ولَا سَبَّابًا

بأبي هو وأمي صلـ الله عليه وسلم

أشْعَارٌ في مدح الرسول ﷺ

بداية لابد وأن أنوه إلي مكانة الشِّعْرِ عند العرب قبل وبعد الإسلام فلقد اعتبروه العرب قبل الإسلام هو اللغة الجامعة للفصاحة لما يشمل من جزالة اللفظ، ودقة المعني وقوة التعبير والبيان فكان العرب قديماً يتحسّبون للشعراء، ويتوددون لهم لما للشاعر من ملكة في المدح والهجاء، وكان بعضهم يملك النزعة الإيمانية وماتشتمل عليه نحو الصدق والوفاء والفروسية والشجاعة والإقدام ضد المعتدي وما تتناوله الكلمات في وصف كل ذلك، وحتي جاء الإسلام بقدوم خير البرية وأفضل الرجال وأشرف الخلق سيدنا مُحَمّدٌ ﷺ فعمل حسّان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ علي الدفاع عن الرسول ﷺ في أشْعَاره وذلك بعد اعتناقه الإسلام، وكان رسولنا الكريم ﷺ يدعوا لسيدنا حسّان بن ثابت أن يؤيده الله بروح القدس..

من ســــــورة الشعراء
يقول (عزوجل) "إلاالَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات وذكروا اللهَ كثيراً وانتصرُوا من بعد ماظُلِموا" صدق الله العظيم
في تفسير الآية الكريمة أي إلا من غَلَبَ في أشعاره ذكرُ اللهِ عزوجل وانتصروا لله ولرسوله صلـ الله عليه وسلم في كلماتهم وقصائدهم فهؤلاء قد خرجوا من دائرة قوله(عزوجل) "والشعراءُ يَتبعُهُمُ الغاوُونَ"
وهذا هو حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي لُقِبَ بشاعر الإسلام وقيل بشاعر(الرسول) صلـ الله عليه وسلم كان يقول له صلـ الله عليه وسلم في شأن المشركين (أهجوهم وروح القدس معك) حتي كان حسان بن ثابت يناشد عبد الرحمن بن عوف أناشدك يابن عوف أنك سمعت رسول الله صلـ الله عليه وسلم يقول اللهم - أيده - بروح - القدس قال نعم سمعته، وحقيقةِ قول حَسَّان بن ثابت "لَأسُلَّنَّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعرةُ مِنَ العجينِ " كان كفَّارُ قُريشٍ يَهجُونَ النَّبيَّ صلَّـ اللهُ عليه وسلَّم، ويُحرِّضونَ على هِجائِه بِالشِّعْر، فطلبَ النَّبيُّ صلَّـ اللهُ عليه وسلَّم مِن أَصحابِه أنْ يَردُّوا عليهم ويهجُوهم كما فعلوا بِه، فتقدَّمَ حسانُ بنُ ثابتٍ رضِي اللهُ عنه وكان مِن أبرزِ الشُّعراءِ، واستأذنَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في هِجَائِهِ للمشركين مِن قُريشٍ، فقالَ له صلَّـ اللهُ عليه وسلَّم: (فكيفَ بِنَسبِي؟) يعني: أَنَّك لو هاجَيْتَ قريشًا فإنَّك ستَطالُ نَسبِي لِكوني مِن قريشٍ، فكيفَ تفعلُ في ذلك؟ فقال حسَّانُ رضِي اللهُ عنه: لَأسُلَّنَّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعرةُ مِنَ العجينِ، وكان عروةُ بنُ الزُّبيرِ أرادَ أنْ يَسُبَّ حسَّانَ بنَ ثابتٍ رضِي اللهُ عنه لأنَّه مِمَّنْ كان قد تكلَّمَ وردَّد كلامَ الإفكِ، فمَنعتْهُ أُمُّ المؤمنين عائشةُ رضِي اللهُ عنها، وقالتْ: إنَّه كان يُنافِحُ عن رسولِ الله صلَّ اللهُ عليه وسلَّم، أي: يُدافعُ ويَذبُّ عنه بشِعْرِه.

هذا والله تعالي أعلي وأعلم

ومن أشعار حسّان بن ثابت في مدح الرسول ﷺ

وَأَحسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيني وَأَجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ
خُلِقتَ مُبَرَّءً مِن كُلِّ عَيبٍ كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ

ومن أشعاري في الحبيب ﷺ

....

أُهْجُرْ وَنَلْ حتي مرارةَ غَفْلتي
أنا قَدْ نُهيتُ جَسَارَةً تُؤذيني

لولا مرارةُ تائبٍ ها صَحْوَتي
عَلَّني بَصُرْتُ سماحةً تُهْديني

حَتْمَا،سَيُعْرَفُ مِنْ نَقَائِه أَنْهُرَ
فأظَلُّ في رِيِّ الحبيبِ يُسْقيني

وأَحِيدُ عن بَعْض بِنَفْعِ شَرَائعٍ
ماعاد قُبْحُ مذاهبي يُغْنيني

يَكْفِي، سَأَسْعَدُ مِنْ عَطَايَا خَالِقِي
قَدْ بات رُؤْيَاهُ (النبيّ) يَكْفيني

رُؤياهُ والشوق في مَنالةِ حالمٍ
سَعْدُ الوَصْلِ بين الكاف والنونِ
****

وفي موضع آخر يوم أن تجرأ رسام بالدنمارك علي رسول الله ﷺ في رسومه المسيئة

ياحبيبي يامحمد
جُرِّحَ القلبُ فينا
وتناسوا حق قدرك
واستحلَّ الكفرُ جَهْرَاً
سَبُّوا ياربِ نَبِيُّك
خيرُ الخلقِ كُلِهِمُ
أااااه لو علموا قدرك
لسمعنا عن نهــور
من دماء
من بكــاء

من عيون
لا استهاموا فيك حباً
فيك شوقاً
واستزادو منك نــور
كيف للأقذام أيـدٍ أن تطول
قد جُنَّ الكُفْرُ هوساً حين عِلموا..
أنك بالفؤادِ فينا حياً
مانسينا يامُحمد
ماتظنون أني فاعل .. هذا قولك
يوم شهد الكفرُ كرمك
مانسينا ياحبيبي
يارسول الله عذراً
مانالوا منك لكن
نالوا مني
نالوا....
من تقصيري
حُسنُ ظني
اليوم أبداً
لن أبايع .. لن أعاهد
غير عربي,,غيرُ مثلي
اليوم تتحد الأيادي
اليوم عِزة
اليوم فخراً
أنك ياحبيبي
فينا تحيا..فينا شرفاً
****

وفي موضع آخر في وصف حالة شعورية لسيدنا النبي ﷺ
قَدْ يُري في السماء وَجْهُكَ مُرْتَقِبَا
أمر الإله وفي عينيكَ تقربة!
قُلْ للشجونِ التي أَبْقَتْكَ رَاجِيَا
مَنْ سوي الله الحَقّ يُجْبِرَهُ

لنُولّيَنَّكَ قِبْلَةً أنتَ مُنْتَظِرَا
فتَرْتضَي شَطْرَا كنتَ تَنْشُدَهُ
الآن يَأْذَنُ في السماءِ أنْ صَلّوا
صلَّ الخلائِقُ سِرًّا، الجَهْرَ أعْقَبَهُ
****

وفي موضع آخر في مدح رسول الله ﷺ

مالُ البلابلِ تجمعت علي لحن شجيّ
مالُ الزهورِ أينعت علي عود سويّ
والفراشاتُ تزاحمت عند ضوءٍ جليّ
ضـــــوء رسول الله في أبهي حُليّ
أيها الرائي أأدركـــت حقيقة رؤيّ
إنها تجليـــــات ذو منة مالك عليّ
تلك اليمامة حطـــــت علي كتفي
تبني لها عُشّاً من شِـــعْرٍ ومن كلمِ
والعصافيرُ راحــــت علي ذكره
تغزل الحــبَّ عُنْقُـــــوداً غزله
والخــير في مصــرَ فَضلَ دُعائه
نبيّ الهُدي والحُبِّ والكـــــرم
أسري بـــــك الله أنتَ مُكرم
في ســـماءٍ وأقصا وبيت الحرم
****

وفي موضع آخر شوقاً لرسول الله ﷺ

يَطُولُ بيَ الحنين وجْهَ مُقْمِرَ
وليس سوي الحبيبِ أدنو إليه
سُهَادِي كم يُري جفني سَاهِرَاً
وما سوي "النبيّ"صلُوا عليه
ويَغْمُرنِي طيب رُؤياهُ حتي إذا
بَصِرْتُ لعَذْبِ الحوضِ سُقْيا يديه
****

وفي موضع آخر دفاعاً عن رسول الله ﷺ ورداً علي إساءة ماكرون:

حَملوا عنادَ الكفرِ فوق رؤوسهم
لتموج في كنهِ الكذوبِ خَبَائِث
حضروا وكان الجمعُ ينبذُ سُخْطهم
ليعود بالحقد القديم أوائل !
لم يدركوا قيم السماء وإنَّمَا
أمسوا كظل الكلاب سَفَاسِف
تبعوا لواء (المكر) شقّ من اسمه
ليزيد بالجهل الجهول مجالس !
هذا النبي (مُحَمّدٌ) خير الوري
ليطيبَ في ذكرِ الحبيب نفائس

****

وفي موضع الحنين والشوق لسيدنا النبي ﷺ

يارافع السماءَ بِلَا عَمَدٍ يُري
وسترت ذلتي ياعظيمَ الإحسان

وبعثتَ مُحَمَّدَاً خير الوري
فأحسنتَ بِبَعْثِهِ أيَّ إحسان

فَرَّقْتُ بين ذراعَيَّ شوق رؤيته
وكنتُ ذا شغف القلب منّاني

حتي إذا ما جَفَا النومُ عيني
قلتُ ياعين الشوق أبكاني

صلّ الله وسلم عليكـ ياحبيبي يارسول الله ﷺ

تم بحمد الله وفضله وقد استعنت بأمهات الكتب والمراجع ومنها علي سبيل المثال:

المراجع

[1] تفسير ابن كثير ج1 ص480.
[2] تفسير الطبري ج5 ص29.
[3] مسند أحمد (40/ 290).
[4] أخرجه أحمد (4/ 412، رقم 19714)، والبخاري (3/ 1104، رقم 2873)، ومسلم (3/ 1359، رقم 1733).
[5] خرجه مالك (2/ 902، رقم 1603)، والبخاري (3/ 1306، رقم 3367)، ومسلم (4/ 1813، رقم 2327).
[6] أخرجه البخاري (2/ 67) ومسلم (2/ 189).
[7] أخرجه أحمد (3/ 241، رقم 13558)، وعبد بن حميد (ص392، رقم 1318)، والبخاري (5/ 1949، رقم 4776)، ومسلم (2/ 1020، رقم 1401).
[8] أخرجه الحميدي (166)، وأحمد (6/ 62)، ومسلم (1/ 168).
[9] لفظ مسلم [88 - (2445)].
[10] أخرجه أحمد 6/ 213، والبخاري 5228، ومسلم 2439.
[11] أخرجه البخاري (3576)، (4152)، (4840)، (5639)، ومسلم (1856).
[12] أخرجه أحمد (1/ 378، رقم 3595)، والبخاري (5/ 2402، رقم 6202)، ومسلم (1/ 174، رقم 186).
[13] أخرجه أحمد (3/ 456)، والبخاري (4/ 9)، ومسلم (8/ 105).
[14] "الموطأ" 1/ 296 - 297، وأخرجه مسلم (1111)، والنسائي في الكبرى (3102)، وهو في "مسند أحمد" (10687)، وصحيح ابن حبان (3523).
[15] أخرجه البخاري (1303)، ومسلم (2315)، وأبو داود (3126).
[16] أخرجه أحمد (3/ 493، رقم 16076)، والنسائي (2/ 229، رقم 1141).
[17] أخرجه الحميدي (1106)، وأحمد (2/ 228)، ومسلم (7/ 77).
[18] خرجه أحمد (6/ 6)، والبخاري (2/ 107)، ومسلم (3/ 58)
[19] أخرجه أحمد (1/ 380) (3611)، والبخاري (4/ 213، 9/ 20)، ومسلم (5/ 179)

[20] أخرجه البخاري (3/ 1180، رقم 3059)، ومسلم (3/ 1420، رقم 1795).
[21] ابن إسحاق - ابن هشام، السيرة (2/ 212 - 213)، وهو مرسل.
[22] انظر: علي محمد الصلابي، السيرة النبوية، 2/ 42.
[23] جان باغوت غلوب؛ الفتوحات العربية الكبرى ص 157 - 158.
[24] انظر: ابن هشام؛ السيرة النبوية 4/ 144، والبيهقي؛ دلائل النبوة 5/ 270، برقم (5440).
[25] أخرجه أحمد (4/ 180، رقم 17662)، وأبو داود (3/ 23، رقم 2548)، وابن خزيمة (4/ 143، رقم 2545).
[26] أخرجه أحمد (1/ 396) (3763)، والبخاري في "الأدب المفرد" (382)، وأبو داود (2675 و 5268).

،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،

اللهم أنفعنا بما علمتنا وعلمناماينفعنا وزدنا علما، اللهم سخر لنا من الأقدار أجملها، ومن السعادة أكملها، ومن الأمور أيسرها، ومن الخواطر أوسعها، ومن حوائج الدنيا ما يرضيك عنا والحمد لله ربّ العالمين وصلاة وسلاما علي نبينا أشرف الخلق،اللهم ارزقنا شفاعته وصلـ اللهم وسلم وزد وبارك عليه.



سيرة أدبية للشاعر والكاتب فاروق حمدي

تخرج من جامعة الأزهر ـ كلية أصول الدين بالمنصورة ـ شعبة العقيدة والفلسفة
عمل مُعلّمَاً للمرحلة الثانوية مادتي الفلسفة وعلم النفس
نبت وعيه الأدبي منذ نعومة أظفاره في تربة الشِّعْرِ الجاهلي، ثم الأدب العربي الحديث بشتي ألوانه، أعطاه الله ناصية الإبداع في الشِّعْر الفصيح، والأدب العربيّ الرفيع تميَّزت أشْعَارِه بجزالة اللفظ وعذوبة المعني، ودقة التشبيه.
* تم تكريمه بدار الأوبرا المصرية عن ديوانه المشترك "قصائد بلون الشفق" 2019م
* تم تسجيل عدة لقاءات إعلامية بدار الأوبرا المصرية 2019م
*تم تكريمه من مؤسسة نهر البلاغة للثقافة والإعلام 2019م
* تم تكريمه من ملتقي القلم العربي عن دار الفراعنة للنشر بمعرض القاهرة الدولي للكتاب عن ديوانه المجمع " همسات عربيه "2019م
*أعلنت جريدة الجمهورية عن ديوانه الشخصي "لآلئ الكلمات في روضة الأبيات" 2020م
*تم تكريمه من الإتحاد العربي للثقافة والأدب بحضور قناة صوت العرب 2020م
*تم تكريمه من الإتحاد العام لمجلات دكتور أحمد الرويضي العراقية 2020م
*تم تكريمه من رابطة الكتّاب العرب بالفيس بوك 2020م
*تم تكريمه من موقع جريدة أهرام مصر الإخبارية 2020م
*تم تكريمه من موقع (مصر فيو) الإخبارية 2020م
* تم تكريمه من صحيفة صدي المستقبل الليبية الورقية 2021م
* تم تكريمه من صالون الشاعر وليد العشري الثقافي بالقاهرة 2021م
* تم تكريمه بالمهرجان الدولي للنيل والفرات والذي أقيم بالعاشر من رمضان ـ شرقية عن ديوانه الحائز علي لقب "فارس الإبداع العربي" 2021م
*نال وسام فارس الأقصي من مؤسسة الإتحاد العربي للثقافة والأدب 2021م
* نشر له شِعْرَاً ومقالاتٍ أدبية في جرائد ورقية مصرية، وعربية منها جريدة الجمهورية وجريدة العروبة ومجلة النيل والفرات، مجلة صدي المستقبل الليبية الورقية ومجلات الشهباء العراقية إضافة إلي عدة مواقع إلكترونية.

* قدم برنامج "لقاء سما الإبداع" 2019م بمجلة سما للإبداع والثقافة، والذي لاقي استحسان الشعراء، ثم برنامج
"كرسي الإعتراف" 2020م، وبرنامج "هدية الشعراء"2021م الغير دوري
* شارك في العديد من الندوات والقوافل الأدبية تحت رعاية وزيرة الثقافة المصرية دكتور إيناس عبد الدايم

تم بحمد الله

الفهرس